جُمْهُورِيَّةُ الْعِرَاقِ ديوانُ الوقفِ الشيعيّ

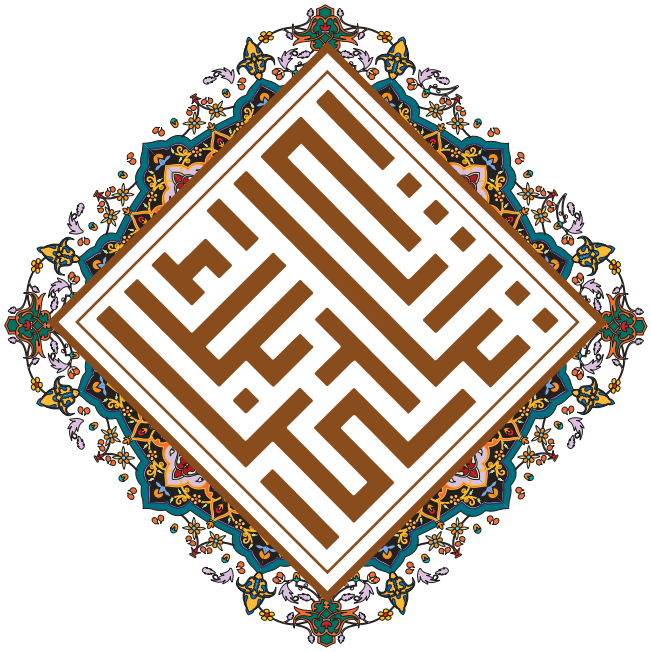

مَجَلَّةٌ فَصْلِيَّةٌ مُحَكَّمَةٌ

تُعْنى بِالتُراث الكَربَلائي

مُجَازَةٌ مِنْ وزَارَةِ التَّعْلِيمِ الْعَالِي وَالْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ

مُعْتَمَدَةٌ لِأَغْرَاضِ التَّرْقِيَةِ الْعِلْمِيَّةِ

تصدر عن:

العتبة العباسيّة المقدّسة

قسم شؤون المعارف الإسلاميّة والإنسانيّة

مركز تراث كربلاء

السنة العاشرة/ المجلَّد العاشر/ العددان الثالث والرابع (٣٧ – ٣٨)

جمادى الآخرة ١٤٤٥هـ/ كانون الأول ٢٠٢٣م

كربلاء المقدسة – جمهورية العراق

ردمد: ٢٣١٢-٥٤٨٩

ردمد الالكتروني: ٢٤١٠-٣٢٩٢

الترقيم الدولي: ٣٢٩٧

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ١٩٩٢ لسنة ٢٠١٤

رقم الجوال: ٠٧٧٢٩٢٦١٣٢٧

Web: http://Karbalaheritage.alkafeel.net

E. mAil: turAth@AlkAfeel.net

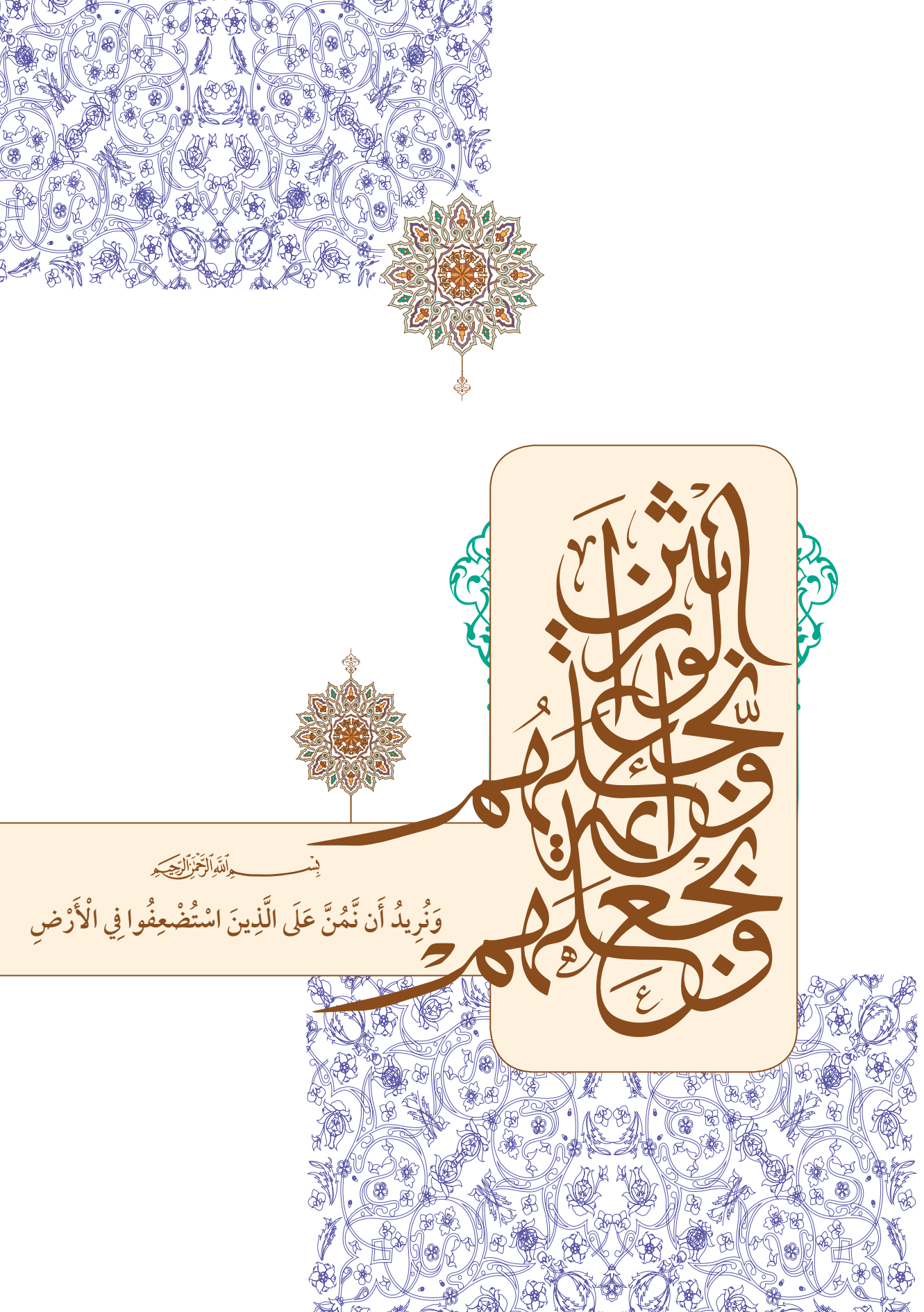
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ
ونجعلهم

المشرف العام

سماحة السيّد أحمد الصافي

المتولي الشرعي للعتبة العباسية المقدسة

المشرف العلمي

الشيخ عمّار الهلالي

رئيس قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية في العتبة العباسية المقدسة

رئيس التحرير

د. إحسان علي سعيد الغريفي (مدير مركز تراث كربلاء)

مدير التحرير

أ. د. فلاح رسول الحسيني (كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة كربلاء)

سكرتير التحرير

د. عمار حسن عبد الزهرة

مدقق اللغة العربية

أ.د. فلاح رسول الحسيني (كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة كربلاء)

م.د. حيدر فاضل العزاوي (وزارة التربية/ مديرية تربية كربلاء)

مدقق اللغة الانكليزية

م. م. اباء الدين حسام عباس (جامعة كربلاء/ كلية التربية للعلوم الإنسانية)

الإدارة المالية والموقع الإلكتروني

د. عمار حسن عبد الزهرة

الهيأة التحريرية

الشيخ مسلم الشيخ محمد جواد الرضائي (أستاذ في الحوزة العلمية/ النجف الأشرف)

الشيخ محمد حسين الواعظ النجفيّ (الحوزة العلميّة/ قم المقدّسة)

أ.د. مشتاق عباس معن (كلية التربية/ ابن رشد/ جامعة بغداد)

أ. د. علي خضير حجي (كلية التربية/ جامعة الكوفة)

أ.د. إياد عبد الحسين الخفاجي (كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة كربلاء)

أ. د. علي كسار الغزالي (كلية التربية للبنات/ جامعة الكوفة)

أ.د. عادل محمد زيادة (كلية الآثار/ جامعة القاهرة)

أ.د. حسين حاتمي (كلية الحقوق/ جامعة اسطنبول)

أ.د. تقي عبد الرضا العبدواني (كلية الخليج/ سلطنة عمان)

أ.د. إسماعيل إبراهيم محمد الوزير (كلية الشريعة والقانون/ جامعة صنعاء)

أ.د. زين العابدين موسى جعفر (كلية الآداب/ جامعة بغداد)

أ.د. علي طاهر تركي الحلي (كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة كربلاء)

أ.د. محمد حسين عبود (كلية العلوم الإسلامية/ جامعة كربلاء)

أ.د. حميد جاسم الغرابي (كلية العلوم الإسلامية/ جامعة كربلاء)

أ.د. ضرغام كريم كاظم الموسوي (كلية العلوم الإسلامية/ جامعة كربلاء)

أ.م.د. حيدر عبد الكريم حاجي البناء (جامعة القرآن والحديث/ قم المقدسة)

أ.م.د. محمد علي أكبر (كلية الدراسات الشيعية/ جامعة الأديان والمذاهب/ إيران)

أ.م.د. فلاح عبد علي سركال (كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة كربلاء)

د. عمار حسن عبد الزهرة (وزارة التربية/ مديرية تربية كربلاء)

قواعد النشر في المجلة

تستقبل مجلة تراث كربلاء البحوث والدراسات الرصينة على وفق القواعد الآتية:

١- يشترط في البحوث أو الدراسات أن تكون على وفق منهجية البحث العلمي وخطواته المتعارف عليها عالميًا.

٢- يقدم البحث مطبوعًا على ورقA٤، وبنسخ ثلاث مع قرص مدمج (CD) بحدود (٥٠٠٠ - ١٠٠٠٠) كلمة بخط (simblified ArArabic) على أن ترقم الصفحات ترقيمًا متسلسلًا.

٣- تُقبل النصوص المحققة لمخطوطات كربلاء، على أن تكون محققة على وفق المناهج المتعارف عليها، وأن تتضمن مقدّمة تحقيق (دراسة) يذكر فيها الباحث المنهج المعتمد ومواصفات النسخة المعتمدة ومصدرها، ويرفق مع العمل المحقق صورة المخطوطة المعتمدة كاملةً، على أن لا يتعدى عدد الكلمات ١٨,٠٠٠ كلمة.

٤-تقديم ملخّص للبحث باللغة العربية، وآخر باللغة الإنكليزية، كلّ في حدود صفحة مستقلة على أن يحتوي ذلك عنوان البحث، ويكون الملخص بحدود (٣٥٠) كلمة.

٥- أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على عنوان واسم الباحث/ الباحثين، وجهة العمل، والعنوان الوظيفي، ورقم الهاتف، والبريد الألكتروني مع مراعاة عدم ذكر اسم الباحث أو الباحثين في صلب البحث أو أي إشارة إلى ذلك.

٦- يشار إلى المراجع والمصادر جميعها بأرقام الهوامش التي تنشر في أواخر البحث، وتراعى الأصول العلمية المتعارفة في التوثيق والإشارة بأن

تتضمن: اسم الكتاب، اسم المؤلف، اسم الناشر، مكان النشر، رقم الطبعة، سنة النشر، رقم الصفحة، هذا عند ذكر المرجع أو المصدر أول مرة، ويذكر اسم الكتاب، ورقم الصفحة عند تكرّر استعماله.

٧- يزوَّد البحث بقائمة المصادر والمراجع منفصلة عن الهوامش، وفي حالة وجود مصادر ومراجع أجنبية تُضاف قائمة المصادر والمراجع بها منفصلة عن قائمة المراجع والمصادر العربية، ويراعي في إعدادهما الترتيب الألفبائي لأسماء الكتب أو البحوث في المجلات.

٨- تطبع الجداول والصور واللوحات على أوراق مستقلّة، ويشار في أسفل الشكل إلى مصدرها، أو مصادرها، مع تحديد أماكن ظهورها في المتن.

٩- إرفاق نسخة من السيرة العلمية إذا كان الباحث ينشر في المجلة للمرة الأولى، وأن يشير فيما إذا كان البحث قد قُدّم إلى مؤتمر أو ندوة، وأنه لم ينشر ضمن أعمالهما، كما يشار إلى اسم أية جهة علمية، أو غير علمية قامت بتمويل البحث، أو المساعدة في إعداده.

١٠-أن لا يكون البحث منشورًا وليس مقدّمًا إلى أيَّة وسيلة نشر أخرى.

١١- تعبر جميع الأفكار المنشورة في المجلة عن آراء كاتبيها، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر جهة الإصدار، ويخضع ترتيب الأبحاث المنشورة لموجبات فنية.

١٢- تخضع البحوث لتقويم سري لبيان صلاحيتها للنشر، ولا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء أقبلت للنشر أم لم تقبل، وعلى وفق الآلية الآتية:

أ. يبلغ الباحث بتسليم المادة المرسلة للنشر خلال مدة أقصاها أسبوعان من تاريخ التسلّم.

ب. يخطر أصحاب البحوث المقبولة للنشر بموافقة هيأة التحرير على نشرها وموعد نشرها المتوقّع.

جـ. البحوث التي يرى المقومون وجوب إجراء تعديلات أو إضافات عليها قبل نشرها تعاد إلى أصحابها، مع الملاحظات المحددة، كي يعملوا على إعدادها نهائيًا للنشر.

د. البحوث المرفوضة يبلغ أصحابها من دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.

هـ. يشترط في قبول النشر موافقة خبراء الفحص.

و. يمنح كلّ باحث نسخة واحدة من العدد الذي نشر فيه بحثه، ومكافأة مالية مجزية.

١٣- يراعى في أسبقية النشر:

أ- البحوث المشاركة في المؤتمرات التي تقيمها جهة الإصدار.

ب- تاريخ تسليم البحث لرئيس التحرير.

ج- تاريخ تقديم البحوث التي يتم تعديلها.

د- تنويع مجالات البحوث كلما أمكن ذلك.

١٤- ترسل البحوث على البريد الإلكتروني للمجلة :

(turath@alkafeel.net)

أو على موقع المجلة:

http: / /karbalaheritage.alkafeel.net /

او موقع رئيس التحرير:

drehsanalguraifi@gmail.com

أو تُسَلَّم مباشرةً إلى مقر المجلة على العنوان الآتي:

(العراق/ كربلاء المقدسة/ المدينة القديمة/ باب الخان/ مُجَمَّع الامام الصادق لأقسام العتبة/ الطابق الخامس).

بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

"معا لمساندة قواتنا المسلحة الباسلة لدحر الارهاب"

الرقم :ب ت ٤ / ٩٨١٤ No:
التاريخ : ٢٠١٤/١٠/٢٧ Date:

" معا لمساندة قواتنا المسلحة الباسلة لدحر الارهاب"

العتبة العباسية المقدسة

م / مجلة تراث كربلاء

تحية طيبة..

استنادا الى الية اعتماد المجلات العلمية الصادرة عن مؤسسات الدولة ، وبناءاً على توافر شروط اعتماد المجلات العلمية لأغراض الترقية العلمية في **"مجلة تراث كربلاء"** المختصة بالدراسات والابحاث الخاصة بمدينة كربلاء الصادرة عن عتبتكم المقدسة تقرر اعتمادها كمجلة علمية محكمة ومعتمدة للنشر العلمي والترقية العلمية .

...مع التقدير

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

أ.د. غسان حميد عبد المجيد
المدير العام لدائرة البحث والتطوير وكالةً
٢٠١٤/١٠/

نسخة منه الى:
- قسم الشؤون العلمية/ شعبة التأليف والنشر والترجمة
- الصادرة

www.rddiraq.com
Emailscientificdep@rddiraq.com

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة العدد

الحمد لله الذي لا ينسى مَن ذكره، ولا يخيب مَن دعاه، ولا يذلّ مَن وَالاه، ومَن توكّل عليه كفاه، الذي يجزي بالإحسان إحسانًا وبالصبر نجاة وغفرانًا، والصلاة والسلام على سيّدنا ونبيّنا محمّد المصطفى الأمين، على آل بيته الطيبين الطاهرين.

أمَّا بعد فإنّ المَسِير يبدأ بخطوة فيستمرّ لأجل الوصول إلى هدف معيّن، والدافع إلى المَسير نحو الهدف هو الطموح المحفّز، ولابدّ من وجود خريطة طريق، فإن اجتمعت هذه الأسس الثلاثة(الطموح، وخريطة الطريق، والهدف) كان المسير ناجحًا لتحقيق الغاية المقصودة، وإلّا كان عبثًا لا يحقّق غاية عقلائيّة.

فمن أهمّ العناصر الأساسيّة لديمومة أيّ مشروع لابدّ أن يكون ذا رؤية، ورسالة، وأهداف، واضحة وصريحة.

والمراد من الرؤية التصوّر المستقبلي والطموحات المستقبليّة التي ترسم حال أفضل من الحال الراهنة، على وفق خطوات مدروسة تسعى المؤسسة إلى تحقيقها.

ومن فوائدها أنَّها تساعد فريق العمل على الوصول إلى الهدف بشكل أوضح وأسرع وأكثر دقّة، فهي تختصر الوقت وتوفِّر الجهد والمواد على العاملين والمؤسَّسة.

ورؤيـة مجلّـة تراث كربـلاء المحكّمـة تتمثّل بسـعيها إلـى أن تكون لها الصدارة والتميّز بين المجلات العلميّة المحكّمة التي تُعنى بالعلوم الإنسانيّة داخل العراق وخارجه على وفق المعايير العلميّة العالميّة.

وأمّا الرسـالة فهـي الأمور التـي توضِّح الأهداف، وتشـرح أهـمّ البنود، وتفصّل المهامّ التي يجب القيام بها.

ورسالة مجلّة تراث كربلاء المحكّمة تتضمّن الآتي:

١- تحقيـق الجـودة المطلوبة للبحث العلميّ وفق المعاييـر العلميّة العالميّة المتميّزة.

٢- توسـيع دائرة نشر البحوث والدراسـات والتحقيقات المحكّمة الرصينة المتعلّقة بمدينة كربلاء المقدّسـة لتصل إلى أكبر عدد ممكن من الباحثين والأساتذة والمحقّقين.

٣- نشـرُ الثقافة التراثيّة والمعرفيّة والعلميّة بين صفوف الأسـاتذة والباحثين والدارسين والمحقّقين.

٤- الحـرص علـى أن تكـون المواضيع التي تنشـر في المجلّـة متناغمة مع الحاجة الفعليّة للسـاحة العلميّة ملبِّية طموحات القرّاء وما ينتظرونه منها، ليجد كلّ قارئ مبتغاه، وما يتلاءم مع اهتماماته الفكريّة والثقافيّة.

٥- دعـم الإبـداع الفكريّ، وتطويـر عمليّة البحث، والكتابة، والإسـهام في اسـتحداث مواضيع بحثيّة غير مطروقة علـى طاولة البحث العلميّ لتفتح الآفـاق الفكريَّـة والمعرفيَّة أمام الدارسـين والباحثيـن، وتزوِّدهم بأفكار ومعلومات قد تسـهم بشـكل أو بآخر في تطوير عمليّة البحث، والكتابة، وتشـجعهم على الشـروع بدراسات جديدة مثمرة تسـهم في إحياء بعض مفاصل التراث الكربلائيّ المغمور.

٦- تحقيق التراث المخطوط لأعلام كربلاء وتراثها العلميّ، وكتابة البحوث والدراسات عن هذه المخطوطات ومؤلِّفيها.

٧- إحياء تراجم أعلام الحائر وسِيرهم، ولاسيّما المغمورين منهم من خلال البحوث والدراسات والفهارس.

٨- استقصاء تاريخ كربلاء بَحْثًا، وَدَرَاْسَةً، وَتَحْقِيقًا بكلّ مفاصله الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة والعلميّة والأدبيّة والصحيّة، فَضْلًا عَنْ جَانِبِ الْعُلُوْمِ الْإِسْلَاْمِيَّةِ كَالْقُرْآنِ الْكَرِيْمِ، وَالْفِقْهِ وَأُصُوْلِهِ، وَالْحَدِيثِ الشَّرِيفِ، وغير ذلك ممّا له علقة تاريخيّة وتراثيّة بهذه المدينة المقدَّسة.

٩- مدّ جسور التعاون مع الجامعات والمؤسّسات والمراكز التراثيّة، والباحثين والمهتمّين بالشأن التراثيّ، وحثّهم للإسهام في توثيق تراث كربلاء المقدَّسة وإحيائه.

١٠- عقد الندوات والمؤتمرات التي تسهم في تدوين تراث مدينة كربلاء.

وأمّا الأهداف التي تسعى المجلّة إلى تحقيقها فيمكن إجمالها بالآتي:

١- الإجادة والتميّز في إحياء التراث الكربلائي، وتحقيق تقدّم في التصنيفات العالميّة عن طريق التميّز بحثيًّا.

٢- إبراز أثر كربلاء الفكريّ والثقافيّ والبحث في الجوانب التي لم يُسلَّط عليها الضوء من تراث كربلاء المشرق، ودراسة الآثار والمآثر الَّتي خلَّفها أعلام هذه المدينة المقدَّسة.

٣- إحياء ذكريات الماضي المشرقة في مختلف أروقة الحياة، وميادينها التليدة التي تتنوَّع بين تراث العلماء، والشعراء، والمفكِّرين، والأدباء، وغيرهم ممَّن ترك أثرًا طيّبًا في هذه المدينة المقدَّسة.

٤- تنشِئَة جيل يهتمّ بالتراث ويحافظ على أدواته، ويعتزّ بهويَّته التراثيّة وانتمائه إليها، وينهل من التجارب والعطاء الذي أورثته الأجيال السابقة، وبذلك تكون مصدرًا ينقل تجربة الآباء إلى الأبناء، ويوثّق الحاضر ليكون ذخرًا للمستقبل.

٥- تعزيز قدرات الباحثين للارتقاء بمستوى الأبحاث المنشورة في المجلَّة نحو التكامل من ناحية الأصالة والمادّة العلميّة الرصينة، والابتعاد عن التقليد والإنشاء والسطحيَّة وصولًا إلى جذور الحقائق المعرفيّة، وابتكار الاستنتاجات العلميَّة الدقيقة، ومواكبة تطوّر البحث العلميّ.

٦- تشجيع الدراسات الأكاديميّة والحوزويّة التي تَتَّسِمُ بِالْعُمِقِ، وَالتَّحْلِيلِ، وَالِاسْتِدْلَالِ، فَضْلًا عَنِ الْوَصْفِ الدَّقِيقِ لِإِغْنَاءِ الْمَكْتَبَةِ بِكُلِّ مَا هُوَ جَدِيدٌ وَنَافِعٌ، وَمَلْءِ الْفُرَاغِ وَتَعْرِيْفِ الْمُجْتَمَعِ بأثر عُلَمَاءِ كَرْبَلَاءَ وَجُهُوْدِهِم فِي الْمَجَالَاتِ كَافَّةٍ.

٧- إثراء المكتبة التراثيّة بأفكار ورؤى جديدة يصنعها سعي الباحثين إلى استكشاف كلّ ما هو جديد.

٨- بناء قاعدة علميّة متينة تشكِّل مصدرًا معرفيًّا مهمًّا لا يستغني عنه الباحث في التاريخ أو التراث، وبذلك تكون المجلّة مصدرًا للدراسات ولكتابة الأبحاث؛ ليعتمد عليها الباحثون والمهتمون بالشأن التراثيّ.

وممَّا تقدّم نأمل أنّ نكون قد أوصلنا رسالتنا بكلّ وضوح لقرّائنا الكرام ليسهموا في رفد المجلّة بنتاجاتهم التراثيّة والمعرفيّة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

رئيس التحرير

كلمة الهيأة التحريرية
رسالةُ المجلّة

لماذا التراث؟:

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَى أشرفِ الأنبياءِ والمرسلينَ سيِّدنا محمَّدٍ وآلِه الطَّاهرينَ المعصومينَ، أمَّا بعد:

فأصبحَ الحديثُ عن أهمّيّةِ التُّراثِ وضرورةِ العنايةِ بهِ وإحيائهِ ودراستهِ من البدهيّاتِ التي لا يَحسُنُ إطالةُ الكلامِ فيها؛ فإنَّ الأمّةَ التي لا تُعنى بتراثِها ولا تكرّمُ أسلافَها ولا تدرسُ مآثرَهُم وآثارَهُم لا يُرجى لها مستقبلٌ بينَ الأممِ.

ومن ميّزاتِ تُراثِنا اجتماعُ أمرَينِ:

أولهما: الغنى والشموليّةُ.

ثانيهما: قلّةُ الدراساتِ التي تُعنى به وتبحثُ في مكنوناتِه وتُبرزه، فإنّه في الوقتِ الذي نجد باقي الأممِ تبحثُ عن أيّ شيءٍ مادّيٍّ أو معنويٍّ يرتبطُ بإرثها، وتُبرزُه وتُقيمُ المتاحفَ تمجيدًا وتكريمًا له، وافتخارًا به، نجدُ أمّتَنا مقصّرةً في هذا المجالِ.

فكم من عالمٍ قضى عمرَه في خدمةِ العلمِ والمجتمعِ لا يكادُ يُعرفُ اسمُه، فضلًا عن إحياءِ مخطوطاتِه وإبرازِها للأجيالِ، إضافة إلى إقامةِ مؤتمرٍ أو ندوةٍ تدرسُ نظريّاتِه وآراءَه وطروحاته.

لذلك كلّهِ وانطلاقًا من تعاليمِ أهلِ البيتِ عليهم السلام التي أمرتنا بحفظِ التراثِ إذ قالَ الإمامُ جعفرُ الصادقُ عليه السلام للمفضّلِ بنِ عمر: «اكتبْ وبثَّ علمَك في إخوانِك، فإنْ متَّ فأورث كتبَك بنيك»، بادرت الأمانةُ العامّةُ للعتبةِ العبّاسيّةِ

المقدّسةِ بتأسيسِ مراكزَ تراثيّةٍ متخصّصةٍ، منها مركزُ تراثِ كربلاءَ، الذي انطلقت منهُ مجلّةُ تراثِ كربلاءَ الفصليّةُ المحكّمةُ، التي سارت بخطىً ثابتةٍ غطّتْ فيها جوانبَ متعددة من التراثِ الضخمِ لهذهِ المدينةِ المقدّسةِ بدراساتٍ وأبحاثٍ علميّةٍ رصينةٍ.

لماذا تراثُ كربلاء؟:

إنَّ للاهتمامِ والعنايةِ بتراثِ مدينةِ كربلاء المقدّسةِ منطلقينِ أساسيّينِ:

مُنطلَقٌ عامٌّ، يتلخّص بأنّ تراثُ هذهِ المدينةِ شأنُه شأنُ بقيّةِ تراثِنا ما زالَ به حاجةٍ إلى كثيرٍ من الدراساتِ العلميّةِ المتقنةِ التي تُعنى به.

مُنطلَقٌ خاصٌّ، يتعلق بهذهِ المدينةِ المقدّسةِ، التي أصبحتْ مزارًا بل مقرًّا ومُقامًا لكثيرٍ من محبّي أهلِ البيتِ عليهم السلام، منذُ فاجعةِ الطفِّ واستشهادِ سيِّدِ الشهداءِ سبطِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم الإمامِ أبي عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، فكان تأسيسُ هذهِ المدينةِ، وانطلاق حركةٍ علميّةٍ يمكنُ وصفُها بالمتواضعةِ في بداياتِها بسببِ الوضع السياسي القائم آنذاك، ثمّ بدأت تتوسّعُ حتّى القرنِ الثّاني عشرَ الهجريّ؛ إذ صارت قبلةً لطلابِ العلمِ والمعرفةِ وتزعّمتِ الحركةِ العلميّةِ، واستمرّت إلى نهاياتِ القرنِ الرَّابع عشر للهجرةِ، إذ عادت حينذاك حركات الاستهداف السلبي لهذه المدينة المعطاء.

فلذلك كلّهِ استحقّت هذه المدينةُ المقدّسةُ مراكزَ ومجلّاتٍ متخصّصةً تبحثُ في تراثِها وتاريخِها وما رشح عنها ونتج منها وجرى عليها عبرَ القرون، وتبرز مكتنزاتِها للعيان.

اهتماماتِ مجلّةِ تراث كربلاء:

إنَّ أفقَ مجلّةِ تراثِ كربلاء المحكّمة يتسّعُ بسعةِ التراثِ بمكوّناتِه المختلفة، من العلومِ والفنونِ المتنوعة التي عُني بها أعلامُ هذه المدينةِ من فقهٍ وأصولٍ

وكلامٍ ورجالٍ وحديثٍ ونحوٍ وصرفٍ وبلاغةٍ وحسابٍ وفلكٍ وأدبٍ إلى غيرِ ذلك ممّا لا يسعُ المجالُ لاستقصاء ذكرها، دراسةً وتحقيقًا.

ولمّا كان هناك ترابطٌ أكيدٌ وعلقةٌ تامّة بين العلومِ وتطوّرِها وبين الأحداثِ التأريخيَّةِ من سياسيّةٍ واقتصاديّةٍ واجتماعيّةٍ وغيرها، كانت الدراساتِ العلميّةِ التي تُعنى بتأريخِ هذه المدينةِ ووقائعِها وما جرى عليها من صلبِ اهتماماتِ المجلّةِ أيضًا.

مَنْ هم أعلامُ كربلاء؟:

لا يخفى أنّ الضابطةَ في انتسابِ أيّ شخصٍ لأية مدينةٍ قد اختُلفَ فيها، فمنهم من جعلَها سنواتٍ معيّنة إذا قضاها في مدينةٍ ما عُدّ منها، ومنهم من جعلَ الضابطةَ تدورُ مدارَ الأثرِ العلميّ، أو الأثر والإقامة معًا، وكذلك اختلفَ العُرفُ بحسبِ المدد الزمنيّةِ المختلفةِ، ولمّا كانت كربلاءُ مدينةً علميّةً محجًّا لطلابِ العلمِ وكانت الهجرةُ إليها في مددٍ زمنيّةٍ طويلةٍ لم يكن من السهلِ تحديدُ أسماءِ أعلامِها.

فكانت الضابطة فيمن يدخلون في اهتمام المجلّة هي:

١- أبناءُ هذه المدينةِ الكرامِ من الأسرِ التي استوطنتها، فأعلامُ هذه الأسر أعلامٌ لمدينةِ كربلاء وإن هاجروا منها.

٢- الأعلامُ الذين أقاموا فيها طلبًا للعلمِ أو للتدريس في مدارسِها وحوزاتِها، على أن تكونَ مدّة إقامتهِم معتدًّا بها.

وهنا لا بدّ من التنبيهِ على أنّ انتسابَ الأعلامِ لأكثر من مدينةٍ بحسبِ الولادةِ والنشأةِ من جهةٍ والدراسة والتعلّم من جهةٍ ثانيةٍ والإقامة من جهةٍ ثالثة لَأمرٌ متعارفٌ في تراثِنا، فكم من عالمٍ ينسبُ نفسهُ لمدنٍ عدّة، فنجدُه يكتبُ عن نفسِه مثلًا: (الأصفهانيّ مولدًا والنجفيّ تحصيلًا والحائريّ إقامةً ومدفنًا إن شاء الله).

فمن نافلةِ القولِ هنا أن نقولَ: إنّ عَدّ أحد الأعلامِ من أعلامِ مدينةِ كربلاء لا يعني بأيّةِ حالٍ نفي نسبته إلى مدينته الأصليّةِ.

محاورُ المجلّة:

لّما كانت مجلّةُ تراثِ كربلاءَ مجلّةً تراثيّةً متخصّصةً فإنّها ترحّبُ بالبحوثِ التراثيّةِ جميعها من دراساتٍ، وفهارسَ وببليوغرافيا، وتحقيقِ التراثِ، وتشملُ الموضوعاتِ الآتية:

١ - تاريخُ كربلاء والوقائعُ والأحداثُ التي مرّت بها، وسيرة رجالاتها وأماكنها وما صدر عنها من أقوال ومأثورات وحكايات وحكم، بل كلّ ما يتعلق بتاريخها الشفاهي والكتابي.

٢- دراسةُ آراء أعلامِ كربلاء ونظرياتِهم الفقهيّة والأصوليّة والرجاليّة وغيرها وصفًا، وتحليلًا، ومقارنةً، وجمعًا، ونقدًا علميًّا.

٣- الدراساتُ الببليوغرافيّة بمختلفِ أنواعِها العامّةِ، والموضوعيّةِ كمؤلّفاتِ أو مخطوطاتِ علماءِ كربلاء في علمٍ أو موضوعٍ معيّنٍ، والمكانيّة كمخطوطاتِهم في مكتبةٍ معيّنةٍ، والشخصيّة كمخطوطاتِ أو مؤلّفاتِ عَلَمٍ من أعلامِ المدينةِ، وسوى ذلك.

٤- دراسة شعر شعراء كربلاء من مختلف الجهات أسلوبًا ولغةً ونصًا وما إلى ذلك، وجمع أشعار الذين ليس لهم دواوين شعرية مجموعة.

٥- تحقيق المخطوطات الكربلائية.

وآخرُ المطافِ دعوةٌ للباحثينَ لرفدِ المجلّةِ بكتاباتِهم فلا تتحقّقُ الأهدافُ إلّا باجتماعِ الجهودِ العلميّةِ وتكاتفِها لإبرازِ التراثِ ودراستِه.

وآخرُ دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمينَ والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ الأنبياءِ والمرسلينَ سيِّدنا محمّدٍ وآلِه الطاهرينَ المعصومينَ.

المحتويات

ص	عنوان البحث	اسم الباحث
٢٥	تاج الدِّين حسين صاعد الحائريّ(المتوفَّى ١٠٠٠هـ) حياته العلميّة وجهوده في التراث المخطوط	الشيخ محمّد جعفر الإسلاميّ الحوزة العلميَّة في مشهد المقدَّسة
٨٩	الشيخ إبراهيم الدراق القطيفيّ دراسة في سيرته ووصف كتابه معدن العرفان في فقه مجمع البيان	سماحة السيِّد علي باقر الموسى – المملكة العربية السعودية – الأحساء – باحث ومهتم في التراث الأحسائيّ المخطوط
١٢٥	أثرُ القرآنِ الكريمِ في كتاب (تسلية المُجَالِس وزينة المَجَالِس) للحائريّ الكَرَكيّ	م.د. كريم ضباب مطر المديريَّة العامَّة لتربية كربلاء المقدَّسة

١٦١	آليّات الحِجـاج التّداوليّة في الخطـابِ الوَعظـيّ، السُـلَّم الحِجاجيّ في كتاب(مُحاسبة النّفس) أنموذجًا	أ. م. د. عليّ حسين يُوسف المديرية العامـة لتربية كربلاء المقدسة
٢٠١	لغة الشعر في غديرية الكفعمي	د. أنمار كامل خضير فارس المديرية العامـة لتربية كربلاء المقدسة

تحقيق التراث

٢٤٩	رسـالة (أقصـى مـدَّة الحمـل) تأليـف العلامـة الفقيـه السـيد ميرزا محمـد صـادق الرضوي المشهديّ	تحقيق الشيخ خالد العابديّ الحـوزة العلميَّـة فـي النجف الأشرف
٢٩٣	صِيـغُ عقـدِ النّـكاح والطـلاقِ تأليـف: المولـى محمّـد جعفـر الأسترآبادي المشهور بشريعتمدار	تحقيق: د. محمود نعمتي
27	Life of Sayyid Muhammad ibn Abi Talib Al-Husseini Al-Karki, and His Book "Tasliyat Al-Majalis, and Zeenat Al-Majalis."	A.M.D. Falah Abdul Ali Sarkal, University of Karbala, College of Education for Human Sciences - Department of Arabic Language

آليّات الحِجاج التّداوليّة في الخطاب الوَعظيّ
السُّلَّم الحِجاجيّ في كتاب (مُحاسبة النَّفْس)
أنموذجًا

Pragmatic Argumentation Mechanisms in Preaching Discourse Hierarchy of Argumentation in the Book 'Self-Accountability' as a Model

أ. م. د. عليّ حسين يُوسف

المديرية العامة لتربية كربلاء المقدسة

Asst. Prof. Dr. Ali Hussein Youssef

General Directorate of Education in Karbala the Holy City

السنة العاشرة/المجلد العاشر/العددان الثالث والرابع (٣٧–٣٨)
جمادى الآخرة ١٤٤٥هـ/كانون الأول ٢٠٢٣م

الملخَّص

هذا بحث في موضوعة آليّات الحجاج التداوليّ في الخطاب الوعظيّ، وقد جعل من كتاب (محاسبة النفس) مادَّةً بحثيّة له من خلال وضع اليد على آليّة السُّلَّم الحجاجيّ في هذا الكتاب، وقد تضمّن البحث فقرات سياقيّة تمثّلت في التمهيد والخاتمة، ففي التمهيد يُسلِّط الضوء على مفاهيم التداوليّة والحجاج، ومن ثمَّ عرض مختصر للسيرة العلميَّة للكفعميّ، ومن بعد ذلك وجد الباحث أن يقدِّم قراءةً في مصطلحات العنوان ومفاهيمه، فخصّص لها المبحث الأوَّل، أما المبحث الثاني فقد كان استعراضًا لأهمِّ مبادئ السلالم الحجاجيَّة وشروطها وقوانينها وأنواعها.

الكلمات المفتاحيَّة: الحِجاج، التّداوليّة، الخطاب الوَعظيّ، السّلّم الحِجاجيّ، كتاب محاسبة النّفس، الشيخ الكفعميّ.

Abstract

This research paper is on the topic of Pragmatic mechanisms in preaching discourse, focusing on Hierarchy of argumentation in the book 'Self-Accountability' as a case study. The research material is presented in an introduction and conclusion, with the main body providing an analysis of the applications illustrating the regularity of arguments according to the intended hierarchy. The introduction reviews the concepts of pragmatic and argumentation, briefly introducing Sheikh Al-Kaf'ami. The researcher found that the terms 'argumentation' and 'pragmatics' deserve a dedicated portion of the study, while the conclusion highlights the key findings of the research.

Keywords: Argumentation, Pragmatics Mechanisms, Preaching Discourse, Hierarchy of Argumentation, Self-Accountability Book, Sheikh Al-Kaf'ami.

المقدّمة

يُعدُّ الحِجاج وسيلة ناجعة من وسائل الإقناع، فهو يمثّلُ في حقيقة الأمر جوهر التّواصل اللغويّ، فليس هناك خطاب يُراد منه التّبليغ يخلو من إحدى آليّات الحِجاج، وبما أنَّ الخطاب الوعظيّ يعدُّ من أكثر الخطابات التّي تهدف إلى الإقناع، لذلك كان من أهمّها طلبًا للآليّات الحِجاجيّة المتنوّعة، ومن هذه الأهمّيَّة المتقدّمة كانت ولادة هذا البحث الذي ارتأينا أن يكون كتاب (محاسبة النّفس اللوَّامة وتنبيه الروح النوَّامة) للكفعميّ مادّة له بوصفه كتابًا وعظيًّا خالصًا وليكون مجالًا إجرائيّا لتطبيق آليّات التّحليل الحِجاجيّ، وبما أنَّ تلك الآليّات متعدّدة وكثيرة، ولا يمكن للباحث الاشتغال عليها جميعًا؛ لذلك اخترنا منها الآليّات التّداوليّة عن طريق الوقوف على آليّة (السُّلَّم الحِجاجيّ) من دون غيرها لفعاليَّتها الاقناعيَّة في مثل تلك الخطابات.

وتبعًا لطبيعة المادّة المدروسة قُسِّم البحث على مبحثَيْن سبقهما تمهيدٌ ومقدّمة وأعقبتهما خاتمة، كان التّمهيد في استعراض المفاهيم الأوّليّة اللازمة للبحث، وكان المبحث الأوّل في: الحِجاج، والتّداوليّة، من التّنظير إلى التّطبيق، وكان المبحث الثّاني في السّلالم الحِجاجيّة في كتاب محاسبة النّفس، شروطها وقوانينها وأنواعها.

ولا شكّ أنّ هناك صعوبات قد تعترض الباحث في مثل هذه الموضوعات من أهمّها: الإشكاليّة المصطلحيّة التّي تعصف بدلالات المفاهيم النّقديّة المعاصرة عندنا نحن العرب وثمّة صعوبة أخرى متولّدة من الأولى؛ تمثّلت في تطويع تلك المصطلحات للتّطبيق الإجرائيّ على النّصوص؛ لكنَّ الرّغبة في العمل ذلّلت تلك الصّعوبات... ونسأل الله التّوفيق.

التّمهيد

أوّلًا/ التّداوليّة والحِجاج:

يمكن القول: إنّ التّداوليّة أصبحت مصطلحًا قارًّا في المدوّنة اللغويّة بعد مخاضات طويلة مرَّت بها ابتداءً من ظهور اللفظة لغويًّا وتبلورها فلسفيًّا؛ وصولًا إلى المفهوم السّائد الذي يتضمَّن عدَّة فكريّة تعبِّر عن فلسفة النّاقد المعاصر وهو بإزاء اللغة والمعرفة وجهًا لوجه.

تشير المصادر إلى أنّ التّداوليّة استقلّت بوصفها حقلًا دراسيًّا واضحًا بعد تمييز شارل موريس عام ١٩٣٨ بين حقول الدّراسة اللغويّة، فقد شخَّص موريس ثلاثة حقول، هي: التّركيبيّ (السّاينتكس)، والدّلاليّ (السّيميائيّ) والتّداوليّ (البراجماتيّ)[١].

أمّا الحِجاج فهو مصطلح مشتقّ من الجذر اللغويّ (حجج)[٢] الذي يفيد طلب الاقناع باستعمال الألفاظ أو الإشارات أو السّلوكيّات الجسديّة الصّادرة من طرف المتكلّم بعيدًا عن الطُّرُق الاستدلاليّة التّي تعتمد على التّرابط المنطقيّ بين القضايا[٣]، ويُفترضُ في المتلقّي أن يكون مستعدًّا للقبول، وأن يكون خالي الذّهن.

وبعدما تقدّم يمكن القول: إنَّ الحِجاج والتّداوليّة يعتمدان في عملهما على الخطاب وما يتطلَّبه من سياقات لغويّة وسلوكيّة وما يشترطه من اتفاقيّات معلنة وغير معلنة وما يتطلّبه مقاما التّكلم والتّلقي أيضًا.

---

(١) ينظر: التّداوليّة أصولها واتجاهاتها: ٢٠

(٢) ينظر: لسان العرب: ٥/ ٢٦.

(٣) ينظر: أهمّ نظريّات الحِجاج في التّقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم: ١٩٨.

ثانيًا/ الكفعميّ وكتابه محاسبة النّفس:

يبدو أنّ مفهوم (محاسبة النّفس) أصبح بعد نزول القرآن واكتمال تدوين الحديث الشّريف سُنّة محبّبة عند المسلّمين، ولا سيّما أولئك الذين يميلون إلى الزّهد والتّصوّف والعرفان، وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الحشر/ ١٨)، وروي عن النّبيّ محمّد صلى الله عليه وآله أنّه قال: «الكَيِّسُ من دَانَ نفسه، وعمل لِمَا بعد الموت، والعاجزُ من أتْبَعَ نفسه هواها وَتَمنَّى على الله»[(١)].

وروي عن الإمام الكاظم عليه السلام: «ليس منّا من لم يحاسب نفسه في كلّ يوم، فإنْ عمل خيرًا استزاد الله منه وحمد الله عليه، وإن عمل شيئًا شرًّا استغفر الله وتاب إليه»[(٢)].

لذلك انشغل العلماء بهذه القضيّة وألّفوا فيها كتبًا وبحوثًا، ومن تلك الكتب:

محاسبة النّفس لابن أبي الدّنيا في (١٣٤) صحيفة، ومحاسبة النّفس لابن طاووس، ومحاسبة النّفس في السّير والسّلوك والأخلاق للسّيد علي ابن السّيد علاء الدّين ابن السّيد محمّد المرعشي (ت: ١٠٨٠ هـ)، ومحاسبة النّفس في إصلاح عمل اليوم والاعتذار من الأمس للميرزا علي بن محمّد حسين بن محمّد الشّهرستاني الحائريّ المرعشيّ (ت: ١٣٤٤ هـ)، ومحاسبة النّفس لإبراهيم بن محسن الكاشاني، ومراقبات أعمال السّنة للميرزا جواد الملكيّ

(١) سُنن التّرمذي، المسمَّى بالجامع المختصر من السّنن عن رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلّم) ومعرفة الصّحيح والمعلول وما عليه العمل: ٤/ ٤٥.
(٢) الكافي: ٢/ ٢٠٥.

التّبريـزيّ (ت: ١٣٤٣ هـ)، ومحاسـبة النّفـس اللوّامة وتنبيه الـرّوح النّوّامة للشيخ إبراهيم بن عليّ بن الحسـن بـن محمّد الكفعميّ (ت ٩٠٥هـ)[١]، وقد طبع أكثر من مرّة مفردًا أو مرفقًا مع كتب أُخر.

والكفعميّ هو تقيّ الدّين إبراهيم بن عليّ بن الحسـن بن محمّد بن صالح بن إسـماعيل، المكنّى بالكفعميّ نسـبة إلى محلّ ولادتـه في (كفر عيما) من قـرى جبل عامل، قطين كربلاء، والمتوفّى في جبـل عامل، أحد أعيان القرن العاشر الهجريّ، عالم وأديب من الذين اتّسموا بالموسوعيّة في التّأليف لكنّه كان للزهد والعرفان أميلَ[٢].

لـم يحدّد المؤرخون تاريـخ ولادة الكفعميّ أو تاريـخ وفاته بالضَّبط؛ بل اكتفوا بالتّقريب والتّخمين، فقدّروا وفاته في عام ٩٠٠ أو ٩٠٥ [٣].

والكفعمـيّ مُكثـر من الكتابـة والتّأليـف والتّلخيص، ومـن مؤلّفاته التّي تداولهـا النّاس: البلد الأمين والدّرع الحصين، وتاريخ وفيات العلماء، وجُنَّة الأمـان الواقيّـة وجَنَّة الإيمان الباقيّـة، المعروف بالمصبـاح، وحياة الأرواح ومشـكاة المصباح، وزهر الرّبيع في شواهد البديع، وله شعر كثير أغلبه دينيّ وعظيّ من ذلك قصيدته الميميّة المشـتملة على أنواع المحسّـنات البديعيّة، وله كتاب محاسبة النّفس موضوع بحثنا هذا.

لم يصرِّح الكفعميّ بعنوان كتابه (محاسبة النّفس) في مقدّمة الكتاب لكنّه أشـار إليه بقوله: «فحقّ على كلّ ذي علم، وحتمٌ على كلّ ذي حزم محاسـبة

(١) ينظر: محاسبة النّفس الكفعمي: ٥٤.
(٢) ينظر: أمل الآمل: ١/ ٢٨، وأعيان الشّيعة ٢: ١٨٥.
(٣) ينظر: أعيان الشّـيعة: ٢/ ١٨٤، وكشـف الظنون: ٢/ ١٩٨٢ والذريعة إلى تصانيف الشّيعة للطهراني: ٧/ ١١٥. والطّليعة من شعراء الشيعة: ٢/ ١١.

النّفس اللوّامة وتنبيه الرّوح النّوّامة»[١]، لكنّ النّاشرين هم من وضع العنوان بصورته الحاليّة.

ومحاسبة النّفس كتاب في الوعظ والتّقشّف والزّهد والاعتبار بُنيَ على شكل شذرات؛ موزّعة على أبواب وعظيّة فيها حثّ ومناءٍ وتحذير ووعْد ووعيد وترهيب وترغيب وتوبيخ وعِبَر، تصبّ في علاقة الإنسان بربّه وعلاقته بالآخرين وعلاقته بنفسه، ويبدو أنَّ المؤلّف لم يسمِّ تلك الأبواب ولم يشر إليها في الصّفحات، ولم يعمل فهرسًا لها؛ لذلك اختلف محقّقو الكتاب في عنونتها وتبويبها من نسخة لأخرى، إلّا أنّ تلك الأبواب تحثّ على محاسبة النّفس وتذكيرها بالموت والفناء وقصر العمر، والنّهي عن تضييع العمر وارتكاب المعاصي والتّخويف من الرّكون إلى الدّنيا والمال وحب الرّئاسة والتّفاخر بالأحساب، والنّهي عن الاغترار بالنّعيم الزّائل، والإيمان بما أوجبه الإسلام وحبّب إليه في القرآن والتّمسّك بسُنّة النّبيّ صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام.

ونرى أنَّ الكفعميَّ قد يبالغ في الدّعوة إلى التّقشّف واليأس من الدّنيا في مواضع من كتابه بشكل قد لا يتّفق مع الآثار الواردة بخلاف ذلك[٢].

ويمكن القول: إنّ مقدّمة الكتاب تصلح أن تكون حجّة أولى للدّخول إلى متن الكتاب؛ فهي أشبه بالمدخل المنطقيّ للكتاب الذي جعله الكفعميّ على صورة شذرات وعظيّة تبدأ كلّها بكلمة (يا نفسُ)، وقد تجاوز عدد تلك الشّذرات (٢٥٠) شذرة، تتفاوت في الطّول، فمنها ما يقتصر على سطر واحد أو أطول بقليل، ومنها ما تجاوز العشرة أسطر.

(١) محاسبة النّفس الكفعمي: ٣٠.
(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٣٥، ٣٦، ٣٧.

والملمح الأسلوبيّ العامّ للكتاب يتمثَّل في اعتماد المؤلّف الخطاب الشّخصيّ؛ فالكتاب بأكمله يمثّل خطابًا نصائحيًّا موجّهًا من المؤلّف إلى القارئ؛ لذلك نجد فيه النَّفَس الزّهديّ للكفعميّ بشكل واضح.

والكتاب خطاب موجّه إلى النّفس البشريّة عامَّة التّي وصفها بـ(اللوّامة) وكأنّ المؤلّف لم يُرد أن يخاطب نفسه (هو) بالتّحديد، انطلاقًا من قول الإمام عليّ ع: «من اعتذر من غير ذنب فقد أوجب على نفسه الذّنب»[1]؛ لذلك ختم المؤلّف المقدّمة بمخاطبة المتلقّي قائلًا: (وقلْ لها)، ثمَّ استمرَّ في مخاطبة النّفس بصيغة (يانفسُ).

(١) ميزان الحكمة: ٣: ١٨٦١

المبحثُ الأوّل: قراءة في المصطلحات والمفاهيم

الحِجاج، والتّداوليّة، من التّنظير إلى التّطبيق:

يعدُّ الحِجاج من أهم مقوِّمات التّداول، وبعد أن نضجت مفاهيم الطرفَيْن الحِجاج والتّداوليّة أصبح كلٌّ منهما نظريّة فاعلة لتحليل الخطابات الشّعريّة والسّرديّة إلّا أنّ قرب الطّرفَيْن من بعضهما واعتماد كلّ منهما على الآخر جعل العلاقة بينهما متداخلة، فقد يتضمّن الاشتغال الحِجاجيّ آليّات تداوليّة مثلما تتضمّن التّداوليّة آليّات حجاجيّة، فالحِجاج يوظّف آليّات لغويّة وبلاغيّة وأُخر تداوليّة، والأمر ينطبق على التّداوليّة أيضًا فقد توظّف هي الأخرى في اشتغالاتها التّحليليّة تلك الآليّات المتقدّمة مضافًا إليها الآليّات الحِجاجيّة.

ممّا تقدّم نلحظ أنّ هنالك تداخلًا بين التّداوليّة والحِجاج؛ فالعلاقة وثيقة بينهما، ويمكن أن نطلق عليها علاقة (نسبة العموم والخصوص من وجهٍ) التي تكون بين المفهومَيْن اللذين يجتمعان في بعض مصاديقهما ويفترق كلّ منهما عن الآخر في مصاديق تخصّه هو كما في «الطير والأسود، فإنهما يجتمعان في الغراب؛ لأنّه طير وأسود، ويفترق الطير عن الأسود في الحمام مثلًا، والأسود عن الطير في الصوف الأسود مثلًا، ويقال لكلٍّ منهما: أعمّ من وجه وأخص من وجه» بحسب اصطلاحات أهل المنطق[1]، فبعض الحِجاج تداول وبعض التّداول حجاج؛ إذ إنّ كلا الطرفَيْن يوظِّف اللغة والدّلالة في عملهما، ولكلّ واحد منهما في الوقت نفسه خصوصيّاته التّي تميّزه من غيره في التّطبيق.

(١) المنطق: ٦٧

ويمكن للقارئ الفطن أن يلحظ أثر ذلك في عدد كبير من النّصوص، ففي كتاب (محاسبة النّفس) موضوع هذه الدّراسة نجد مؤلّفه الكفعميّ يوظّف التّداوليّة أو الحِجاج بحسب الموقف الذي يمليه السّياق؛ ففي موضع ما قد يبرِّز السّلّم الحِجاجيّ، وفي موضع غيره نجد آليّات تداوليّة غير السّلّم الحِجاجي، ففي إحدى مواعظه يقول:

«يا نفسُ: كفى بالغفلة ضلالًا، وكفى بجهنّم نكالًا، وكفى بالقناعة ملكًا، وكفى بالشّره هلكًا، وكفى بالقرآن داعيًا، وبالشّيب ناعيًا، وكفى بالتّواضع شرفًا، وبالتّكبر تلفًا، وكفى بالرّجل سعادة أن يعزف عمّا يفنى، ويتولّه بما يبقى، وكفى بالظلم سالبًا للنعمة، وجالبًا للنقمة»[1].

ففي هذه الشّذرة الوعظيّة نجد المؤلّف وظّف مفردة قويّة التّأثير في المجال التّداوليّ السّائد بينه وبين المتلقّي، فهو متيقّن من أنّ الفعل (كفى) بصيغته الأمريّة قد يأتي بالغايّة المطلوبة؛ ولاسيّما في حالة تكراره مرادفًا لعواقب الأمور، ونجد هنا الخطاب قد عوّل كثيرًا على آليّة تداوليّة، وهي الأفعال الطّلبيّة التّي يُطلق عليها التّوجيهات والأمريّات التّي تستبطن حمل المخاطب على أداء عمل معين[2] بفعل التّأثير الذي تستبطنه الكلمات، وبفعل السّياق الذي رافق الخطاب، وقد صبّت كلّها في القوّة الإنجازيّة للخطاب[3].

وفي شذرات أُخر من كتاب محاسبة النّفس نجد ترجيحًا واضحًا من المؤلّف للسّلّم الحِجاجي، ففي قوله «يا نفسُ.... إيّاك أن تصحبي أبناء

(١) محاسبة النّفس الكفعمي: ٧٦

(٢) ينظر: التّحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد: ٦٥.

(٣) ينظر: دراسات في نحو اللغة العربيّة الوظيفي: ٦٦.

الدّنيا، فإنّك إن أقللت استقلّوك، وإن أكثرت حسدوك، ولا تعملي شيئًا من الخير رياءً، ولا تتركيه حياءً»[١].

ففي هذه الشّذرة الوعظيّة نجد أنَّ الخطاب مرتّب على وفق سلّم تصاعديّ من الحجج تؤدّي كلّها إلى نتيجة تفيد بطلان مصاحبة مَن أغرتهم الدّنيا ونسوا الآخرة، فكانت:

النّتيجة: بطلان مصاحبة أهل الدّنيا

أما الحجج التّي تؤيد ذلك فهي:

الحجّة الثانية: حسدهم لك في حال الإكثار من الدّنيا

الحجّة الأولى: تقليلهم من شأنك في حال الحصول على القليل من الدّنيا

وهنا تبدو المحاججة مقنعة جدًّا، فالحِجاج وسيلة إقناعيّة تهدف إلى إيصال التّصوّرات الموجودة في ذهن المتكلّم إلى المخاطب أو المتلقّي بغض النّظر عن الدّوافع التّي تدفعه لذلك، وعلى الرّغم من اتكاء الخطاب هنا على السّلّم الحِجاجي لكنّنا نلحظ أنّ النّصّ تضمّن ثنائيّة فعّالة في المجال التّداوليّ أيضًا، ونقصد بها ثنائيّة (أمّا/ وأمّا) وكلاهما غير مُحبَّب في مجال مخصوص كما في الشّاهد السّابق، وكما الحال مع الرّاغبين في الدّنيا، فالإقلال والإكثار من الدّنيا معيبان عندهم؛ متعبان لمن يمارسهما.

يتحصّل لدينا ممّا تقدّم أنَّ التّداوليّة بوصفها مصطلحًا نقديًّا يُراد منه دراسة الخطابات في أثناء الاستعمال تؤكّد دائمًا الوقوف على كيفيّة تداول تلك الخطابات بين المتكلّمين والمتلقّين، ونلحظ هنا التّداخل الكبير بينها وبين الحِجاج، فهما يشتركان في خاصيّة التّوصيل ويفترقان أحيانًا في الدّوافع

(١) محاسبة النّفس الكفعمي: ٧٩.

المكنونة عند المرسل، والمفهومان بعد ذلك يتّصفان بالحركيّة، فالجذر اللغويّ (دَولَ) ليس بعيدًا عن الدّلالة الحركيّة لمصطلح التّداوليّة فـ (دول وتداول) تأتي بمعنى «الانتقال من حالٍ الى حالٍ»[١].

يتَّضح ممّا تقدَّم أنَّ (التّداول) مفهوم حركيّ يتَّسم بالجدل؛ فهو يلازم دائمًا التّحوّل والانتقال ولا يمكن بحالٍ من الأحوال تصوّره بدونهما، وفي كتاب (محاسبة النّفس) تتمثّل الحركيّة التّداوليّة في فعاليّة النّصح والتّوجيه اللذين يصلحان في أيّ زمان ومكان ومع أيّ شخص، فعلى سبيل المثال عمد مؤلّف الكتاب في شذراته أغلبها إلى الصّياغة التّي تعتمد حركيّة الأفعال وتلازمها على وفق ثنائيّات حركيّة كثيرة، منها: من يفعل كذا فسيلاقي كذا، مثل قوله: «من شاور ذوي النّهى والألباب، فاز بالنّجح والصّواب»[٢]، أو من لم يفعل كذا فأنّه لم يحصل على كذا، مثل قوله: «يا نفسُ: من لا يطعم الدّابة إلّا في الحضيض لا يقدر على قطع العقبة؟! ومن لا يملك قيراطًا من المال كيف يفكّ الرّقبة»[٣]، أو من فعل كذا معك فإنَّ عاقبة فعله عليك ستكون كذا، مثل قوله: «يا نفسُ: من لم يصحبك مُعينًا على نفسك فصحبته وَبَال عليك إن علمت، ومن مدحك بما ليس فيك فهو ذمٌّ لك إن عقلت»[٤]، أو ترادف الجمل الفعليّة أو الاسميّة، مثل قوله: «أفضل المعروف، إغاثة الملهوف، ومن أفضل الإحسان الإحسان إلى الأبرار، ومن أفضل الأعمال ما أوجب الجنّة وأنجى من النّار»[٥]، وليس هذا كذا إنّما كذا، مثل قوله: «ليس الشّريف

(١) لسان العرب: ٤/ ٢١١.
(٢) محاسبة النّفس الكفعمي: ٧٦.
(٣) المصدر نفسه: ٤٤.
(٤) المصدر نفسه: ٧٧.
(٥) المصدر نفسه: ٧٨.

مـن تطاول وكاثر، إنّما الشّـريف من تطـوّل وآثر، وليس البـرّ إبانة الحروف بالإمالة والإشـباع، لكـنَّ البرَّ إعانة الملهـوف بالإنالة والإشـباع»[١]، أو كن كـذا ولا تكن كـذا، مثل قوله: «يا نفـسُ: كوني من المصلّيـن ولا تكوني من المضلّين، وكوني من المناجين تكوني في النّاجين، والزمي اليقين تكوني من المتّقين»[٢]، والسّـؤال، مثل قوله: «كيف يترك العاقل ما عند الله تعالى برجاء كاذب، ووهـم خائب؟! مـع أنَّ مدح النّاس لا ينفعه وهو مذموم عند الله ومن أهل النّار، وذمّهم لا يضرّه وهو محمود عند الله وفي زمرة الأبرار»[٣].

وهكـذا تصـحّ التّداوليّة أن تكـون أداة فاعلة ومثمرة في الوقت نفسـه في دراسة الخطابات وتحليلها؛ إذ إنّها تتّفق تمامًا مع حركيّة المعاني والدّلالات فـي تغيّرها وانتقالها المسـتمرَّين بحسـب حاجـات المتكلّميـن والمتلقّين، وبحسب السّياقات الخارجيّة والدّاخليّة، وبحسب التّأثير المطلوب.

فمعنـى القـول لا يمكـن وصفه بتاتًـا في اسـتقلال عن المقـام والوظيفة القوليّة[٤].

ولأجـل تحقيق تواصل ناجـح تعتمد التّداوليّـة مفاهيم كثيـرة من أهمّها (المقصديّـة)، فالمقصد عند المتكلّم أو المتلقّي عامـل مهمّ جدًّا في تحديد سـمة الخطابات، وهـو الهدف الـذي يضعـه المتكلّم لكلّ خطـاب لغويّ، فإنجـاز الأفعـال اللغويّة هـو وعي الأنا بغايـات خطابهـا[٥]، وغالبًا ما يكون توضح القصد من الخطاب المعلن في بدايّة الكلام، كما نجد ذلك في كتاب

(١) محاسبة النّفس الكفعمي: ٨٥.
(٢) المصدر نفسه: ٨٩.
(٣) المصدر نفسه: ١١١.
(٤) ينظر: الحِجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظريّة وتطبيقيّة في البلاغة: ٢٥١ .
(٥) ينظر: المقصديّة في الخطاب الشّعري لعبد الله البردوني دراسة تداوليّة: ٤٩.

(محاسبة النّفس)، فقد صرّح الكفعميّ بمقصده في المقدّمة بما لا يقبل اللبس، قال في مقدّمة كتابه: «فحاسب نفسك قبل أن تُحاسب، وطالبها قبل أن تُطالب، وقل لها...»[١].

وهنا نجد التّداوليّة ترتبط بالواقع؛ فالواقع العملي الذي يتبلور عن طريق التّواصل هو الذي يحدّد طبيعة المعرفة التّي تتحصَّل عند المتلقّي، بل يحدّد المعرفة التّي يصدر عنها المتكلّم أيضًا عن طريق جدليّة الإرسال والاستقبال بينهما، ففي كتاب محاسبة النّفس نجد روابط كثيرة مأخوذة من واقع الإنسان المسلم، مثل قوله: «يا نفسُ: إنَّ اليوم والليلة أربع وعشرون ساعة، فاشتغلي فيها بالطّاعة»[٢].

ولا تتحقّق المعرفة المتولّدة من الواقع التّداوليّ إلّا بواسطة آليّات عدّة منها: الأفعال الكلاميّة الإنجازيّة التّي تعني أنَّ تأثير الخطابات لا يقتصر على اللفظ إنّما يتعدّاه إلى الإنجاز الذي تستبطنه الملفوظات، ويظهر في ردود أفعال المتلقّي، وهو أمر يمكن أن نلمسه من قبول الكتاب وشيوعه بين عامّة النّاس وتعدّد طبعاته.

والتّداوليّة ليست أداة لدراسة اللغة فحسب بل هي أداة مهمّة لاكتشاف المعارف وتوليدها، وهنا يمكن أن نربطها بميادين البحث الفلسفيّ الثلاثة: الأنطلوجيا (مبحث الوجود)، والأبستمولوجيا (نظريّة المعرفة)، والأكسيلوجيا (نظريّة القيم)[٣]، ثمّ إنّ ارتباط التّداوليّة بالفلسفة يتبيّن عن طريق الحِجاج؛ إذ يتمثَّل في الأساليب الحِجاجيّة التّي حصرها بيرلمان

(١) محاسبة النّفس الكفعمي: ٣٨
(٢) المصدر نفسه: ٣٦
(٣) ينظر: أسس الفلسفة: ١٧.

بالوصل والفصل، وهما مفهومان فلسفيّان خالصان[١]، وفي كتاب محاسبة النّفس نجد تمثلات هذه الميادين الفلسفيّة واضحة في الدّعوة إلى التّفكّر بالوجود وبخالق الوجود فيما يتعلّق بمبحث الوجود، ونجد أيضًا الحثَّ على المعرفة الصّحيحة التي ترتكز على المبادئ الإسلاميّة فيما يتعلّق بمبحث المعرفة، ثمَّ إنّ الكتاب كلّه يمكن أن يُحسب على نظريّة القِيَم الفلسفيّة التّي تضمُّ مباحث الجمال والأخلاق والمنطق.

إنّ حدود عمل التّداوليّة والحِجاج لا يمكن تبيينها منفصلة بدقّة لما بينهما من تواشج، بل إنّ آليّات الحِجاج المعتمدة في التّحليل النّصّيّ تضمّ بداخلها آليّات فرعيّة تداوليَّة كثيرة[٢]، ولمجمل هذه الآليّات ما يمثّلها في كتاب محاسبة النّفس، وهي:

أوّلًا: آليّات لغويّة مثل: التّكرار، كما في قول المؤلّف «يا نفسُ: أنت التّي حسدت، أنت التّي كندت، أنت التّي حقدت، أنت التّي جحدت أنت التّي أفسدت، أنت التّي عاندت، أنت التّي وشيت، أنت التّي التّويت، أنت التّي طغيت، أنت التّي بغيت، أنت التّي عصيت، أنت التّي هويت، أنت التّي غويت، أنت التّي راءيت، أنت التّي ماريت، أنت التّي جنيت، أنت التّي عتبت، أنت التّي اعتديت، أنت التّي جشعت، أنت التّي جمعت، أنت التّي منعت، أنت التّي قطعت، أنت التّي طحت، أنت التّي ضيّعت»[٣] فقد تكرّر الضّمير (أنتِ) في هذه الشّذرة وحدها أكثر من تسعين مرّة!!!

وتكررت أسماء التّفضيل كما في قول المؤلّف: «يا نفسُ: أسعد النّاس من

(١) ينظر: الحِجاج مفهومه ومجالاته: ٣٦
(٢) ينظر: الخطاب والحِجاج: ٤٩.
(٣) ينظر: محاسبة النّفس الكفعمي: ١٠٣.

ترك لذّة فانيّة، للذّة باقيّة، وأشقاهم من باع جنَّة المأوى، بمعصيّة من معاصي الدّنيـا، وأفضل النّاس من عصى ورفض دنياه، وقطـع منها أمله ومناه، وكان همّه لأخراه، وأبعد النّاس من النّجاح المشـتهر باللهو والمزاح، وأبعدهم من الصّلاح الكـذوب ذو الوجه الوقاح»[١]. وهناك آليّات حِجاجيّة لغويّة أُخر لا يسع المجال لذكرها كلّها، مثل القصر بأنواعه، والتّقديم والتّأخير.

ثانيًا/ آليّات بلاغيّة مثل: التّشـبيه، كما في قول الإمام عليٍّ عليه السلام الذي ذكره المؤلّـف: «دنياك مثل الشّـمس تدني إليك الضوء لكنّها وعرة المسـلك، إذا أبصرت إلى نورها تعش وإن تبصر به تدرك»[٢].

والاسـتعارة بنوعيهـا؛ التّصريحيّـة، مثـل قـول المؤلّف: «اسـتيقظي من غفلتـك، وانتبهي من رقدتك، قبل أن يُقال فلان عليـل، ومدنف بخيل، فهل على الدّواء من دليل؟ أم هل إلى طبيب من سـبيل»[٣]، فقد صرَّح بالمشـبّه به وهو الـدّواء والطّبيب وهو يريد الهدايّة والوعظ، والاسـتعارة المكنيّة كقول المؤلّف «فكيف بك إذا بلغ كتابك المسـطور الأجل؟»[٤] وهنا كنّى المؤلّف بالمشبّه به بعد حذفه؛ فالكتاب لا يبلغ الأجل لأنَّه لا يعقل، والكنايّة مثل قول المؤلّف «إنَّ ذهاب البصر خير من عمى البصيرة، وذهاب النّظر خير من النّظر إلى ما يوجب الجريرة»[٥].

وهنـاك آليّات حجاجيّة بلاغيّة كثيرة غير التّي ذكرناها، مثل: القصر بنوعيه

(١) محاسبة النّفس الكفعمي: ٥٦ .
(٢) المصدر نفسه: ٦٤.
(٣) المصدر نفسه: ١٣١.
(٤) المصدر نفسه: ١٢٩.
(٥) المصدر نفسه: ٦٦ .

الحقيقيّ والإضافيّ، والتّقديم والتّأخير، والعطف، فضلًا على الحِجاج بصيغ المشتقات الأُخر.

ثالثًا: آليّات تداوليّة تعتمد في أغلب الأحوال (السّلّم الحِجاجي) كما سيرد ذلك في صفحات هذا البحث.

أما معايير التّداوليّة المعتمدة في التّحليل فهي كثيرة[١] لكنّ أشهرها مثولاً في كتاب (محاسبة النّفس):

أوّلا: الإشاريّات، التي تضمّ أسماء الإشارة والأسماء الموصولة والضّمائر بأنواعها: (الشّخصيّة، والزّمانيّة، والمكانيّة، والخطابيّة، والاجتماعيّة) وقد وجد لها الباحث أمثلة كثيرة في كتاب محاسبة النّفس للكفعمي[٢].

ثانيًا: الافتراضات المسبقة التّي يستوجبها سياق الحال مثل: التّقديم، والحذف، كما في قول المؤلّف «سبب الشّقاء حب الدّنيا، وسبب فساد العقل الهوى، وسبب صلاح النّفس الورع، وسبب فسادها الطّمع»[٣]؛ إذ قدّم الأخبار على المبتدآت لضرورات حجاجيّة إقناعيّة، وقوله: «شتّان بين عمل تذهب لذّته وتبقى تبعته، وبين عمل تذهب مؤنته وتبقى مثوبته»[٤].

ثالثًا: الاستلزام الحواريّ أو (التّواصل غير المعلَن)، وهذا متضمّن كلّه في كتاب (محاسبة النّفس)، وهذا مثال واحد على ذلك: قال المؤلّف: «عودك إلى الحقّ خير من تماديك في الباطل، وعداوة العاقل خير من صداقة الجاهل،

(١) ينظر: التّداوليّة بين النّظريّة والتّطبيق: ٥٠٦.
(٢) ينظر: محاسبة النّفس الكفعمي: ٤٢، ٦٩، ١١١ وغيرها.
(٣) المصدر نفسه: ٦٧.
(٤) المصدر نفسه.

وعبد الشّـهوة أذلّ من عبد الرّقّ، ولا يجد أبـدًا حلاوة العتق، وعبد الحرص مخلّد»[1] فغاية الخطاب في هذه الشّـذرة تمثّل في يقظة المتلقّي واسـتعداده للمعنى غير المباشـر الذي يقصده المتكلّم، مع التّـزام الأوّل بمبدأ التّعاون، ومـا يتطلّبه من مبـادئ وردت ضمنًا مثـل: (التّأديـب والتّصديق ومقتضيات الخطاب الإنشائيّة والخبريّة) الماثلة كلّها في الجمل النّصائحيّة.

رابعًـا: الأفعـال الكلاميّة؛ يقول الكفعمـيّ: «ما أجهل مـن يتوقّع المغفرة مـع الإصرار، وما أسـفه من يتمنّى العفو مع ملازمـة الأوزار»[2]. فقد تضمّن الـكلام أنواعًا من الأفعال الإخباريّة واللفظيّة والإنجازيّة والتّأثيريّة والطّلبيّة، وقد رافق ذلك شـروطًا سياقيّة، مثل: الملاءمة بين القصد والخطاب، والقوّة الإنجازيّة الماثلة في الأفعال المؤثرة التّي تضمّنتها الشّذرة.

(١) محاسبة النّفس الكفعمي: ٧٠.

(٢) المصدر نفسه: ١٥٨

المبحث الثّاني: السّلالم الحِجاجيّة في كتاب محاسبة النّفْس شروطها وقوانينها وأنواعها

يتنوّع الحِجاج بحسب حاجة المتلقّي وثقافة المتكلّم وأيدلوجيّته التّي ينطلق منها، فهناك: الحِجاج التّوجيهيّ والحِجاج التّقويميّ والحِجاج التّجريديّ والحِجاج السّلطويّ والحِجاج الجماهيريّ[1]، ولا مجال للاستشهاد على تلك الأنواع الحِجاجيّة كلّها من كتاب (محاسبة النّفس) لضيق المقام، لكنّنا نبادر إلى القول لنشير إلى أنّنا وبسهولة يمكن أنّ نضمّ الحِجاج في كتاب (محاسبة النّفس) إلى نوع الحِجاج التّوجيهيّ؛ فالكتاب توجيه وإرشاد ونصح ونقد كلّه، فهو خطاب وعظيّ مطوّل يتبنّى المنطلقات الدّينيّة الإسلاميّة.

ولا بدّ من الإشارة إلى أنَّ مصطلح (السُّلّم الحِجاجي) يدلّ على ما يدلُّ عليه السّلّم العاديّ على دلالة الترتيب، وبإزاحته إلى الدّرس اللغويّ فهو يدلّ على معنى التّرتيب المتدرّج للحجج الكلاميّة، فالحجج ترتّب فيه منطقيًّا من الأسفل إلى الأعلى؛ أي من الحجّة الأضعف إلى الحجّة الأقوى وصولًا إلى النّتيجة التي قد تكون من وجهٍ آخر حجَّةً توصل إلى نتيجةٍ أعلى، كما لو أنّك نصحت أحدهم بأهميّة الفوز بالجنّة قائلًا له: ارضِ الله عنك، واعبده بحقّ، وأطع والديك، واعمل بالمعروف، وكما في المخطط:

ن = النّتيجة = الفوز بالجنّة

ج= نتيجة لما قبلها وحجَّة لما بعدها = رضا الله

د= الحجّة القويّة = عبادة الله (الأفعال العباديَّة المخصوصة)

(١) ينظر: اللسان والميزان والتّكوثر العقلي: ٢٢٦.

ب= الحجّة الضعيفة = إطاعة الوالدّين

أ= الحجّة الأضعف = العمل بالمعروف

ولا بـدَّ من التّنويه هنا إلى أنَّ مفردتي الأضعف والأقوى يدلّان في الوقت نفسـه على الأعمّ والأخـصّ؛ فالعامّ أضعف مـن ناحيّة الدّلالـة والتّأثير من الخاصّ، ولو لاحظنا درجات السّـلّم نجد المتكلّم يبدأ بالعامّ ثمَّ يخلص إلى الخاصّ، وهو الأقوى في إقناع المتلقّي.

ويتطلّب هذا التّسلسل شرطَيْن أساسيَّين، ذكرهما النّقاد، وهما:

الأوّل: كلُّ قول يردّني درجة ما من السّلّم، يكون القول اللذان يعلواه دليلًا أقوى منه بالنّسبة للنتيجة.

الثانـي: إذا كان القول (ب) يؤدِّي إلى النّتيجة (ن) فهذا يسـتلزم أن (ج، د) الذي يعلوه درجة يؤدّيان إليها، والعكس غير صحيح[1].

ولتطبيق القاعدتين إجرائيًّا نستشـهد بقول الكفعميّ: «يا نفسُ: العمر وإن طال فما تحته حائل، وكلُّ نعيمٍ لا محالة زائل، فترصّدي للموت، فلكلِّ طالع أفول، وتزوّدي لدار الإقامة، فلكلِّ غائب قفول»[2].

ويمكن ترتيب الحجج التّي ذكرها المؤلّف في هذه الموعظة بالطّريقة الآتيّة:

ن (النّتيجة) = حتميّة الموت وانتهاء العمر

ج: فلكلّ غائب قفول

ب: فلكلِّ طالع أفول

أ: كلُّ نعيم لا محالة زائل

(١) ينظر: اللغة والحِجاج: ٢١.

(٢) محاسبة النّفس الكفعمي: ٨٣

وللتدليل على الشّرطَيْن المذكورَيْن في الأعلى نلحظ أنّ (ج) أقوى من (ب) و (ب) أقوى من (أ)، وأنَّ (ج، وب) هما أقرب إلى النّتيجة (ن) من (أ)، وهذا ما نعنيه بترتيب الحجج وعدم تعارضها في السّلّم.

وللسلّم الحِجاجيّ عامَّة وفي كتاب (محاسبة النّفس) خاصَّة قوانين ثلاثة تتعلّق كلّها بترتيب الحجج.

فالقانون الأوّل ينصّ على أنَّه: إذا صدق القول على درجة من درجات السّلّم فإنَّ النّقيض يصدق على ما تحت ذلك، ويسمّى هذا بقانون الخفض.

والثّاني ينصّ على أنَّه: إذا كان القول يدلُّ على موضوع معيّن فإنَّ نقيضه يدلُّ على نقيض ذلك الموضوع، ويسمّى هذا القانون بقانون النّفي.

أما الثّالث فينصُّ على أنَّه إذا كان أحد القولَيْن أقوى من الآخر، فإنَّ نقيض الآخر أقوى من نقيض الأوّل، ويسمَّى قانون القلب[١].

وللتدليل على ما تقدّم نستشهد بقول الكفعميّ: «يا نفسُ: اعمري دنيْاك بقدر محياك، ودبّري أمر عقباك التّي هي مأواك بقدر مثواك، فما الدّنيا إلّا دار غرور، وجسر مرور، فما أسخر من خيَّم على الجسر فلا يجوز، وما درى أنَّ القعود على طرقات المارَّة لا يجوز»[٢].

يمكن أن يلحظ القارئ هنا أنَّ الحجج وردت في هذه الشّذرة الوعظيّة على وفق السّلّم الآتي:

ن (النّتيجة) = ضرورة التّهيؤ للآخرة

د = الدّنيا لا تطول الاقامة فيها

(١) ينظر: آليّات الحِجاج في كتاب العمدة لابن رشيق القيرواني: ٣٧.
(٢) محاسبة النّفس الكفعمي: ٩٤

ج = الدّنيا جسر مرور

ب = الدّنيا دار غرور

فالقانون الأوّل للسلّم الحِجاجي يقتضي أنّه نقيض (ج) (الدّنيا ليس جسر مرور) يصدق على نقيضة (ب) (الدّنيا ليس دار غرور)، والقانون الثّاني يقتضي أنَّ نقيض (ب) يدلُّ على نقيض (ج)، ومقتضى القانون الثّالث أنَّ نقيض (ج) أقوى من نقيض (ب).

أنواع الحجج

• **سلّم الحجج الدّينيّة:**

يتطلَّب الخطاب الوعظيّ البدء بالحجّة الأعمّ؛ لكي يكون ما بعدها من الحجج تعزيزًا للنتيجة التّي يراد توصيلها للمتلقّي، ومنذ الصّفحات الأوّلى يذكر الكفعميّ في كتابه (محاسبة النّفس) سلّمه الحِجاجي الأوّل حين أوردَ الحجّة الدّينيّة الكبرى؛ إذ احتجَّ بالقرآن والأنبياء والمرسلين والأئمَّة، ليكون ذلك حجّة كبرى لما سوف يأتي في الكتاب، فقد ابتدأ كلامه بشهادة التّوحيد ونبوة النّبيّ محمّد صلى الله عليه وآله ثمّ استشهد بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ آل عمران/ ٣٠. ثمّ ساق حجَّته بعد ذلك: «وبعدُ فإنّه قد أجمعت الأنبياء، والمرسلون، والأئمة الرّاشدون أنّه تعالى لجميع عباده بالمرصاد، وأنّهم سيناقشون يوم الميعاد، ويطالبون بمثاقيل الذرّ، من الخير والشّر..... ولا يُنجي من هذه الأخطار الجليلة، إلّا محاسبة النّفس كلَّ يوم وليلة»[1].

(١) محاسبة النّفس الكفعمي: ٣٣.

نجد المؤلّف هنا قد رتّب حججه من الأعمّ إلى الأخصّ، وكما يأتي:

ج. والأئمة الرّاشدون

ب. والمرسلون

أ. أجمعت الأنبياء

نلحظ أن (ج) أخصّ من (ب) وأن (ب) أخصُّ من (أ) من ناحيّة العموم والخصوص والقرب الزّماني؛ فالأئمَّة أقرب إلى النّاس زمانيًّا من الأنبياء؛ فهم الأوصياء بحسب ثقافة المتكلّم (المؤلّف)، وهو ترتيب منطقيّ يتساوق مع الفهم (الشيعيّ) الذي ينطلق منه المؤلّف؛ فإيمانه بعصمة (الأئمَّة الرّاشدين)، وهو يفيد من النّاحيّة الحِجاجيّة بأهميّة النّتيجة التّي سوف تأتي، فلا يمكن أن تتوسط (أ) بين الطرفَيْن، وهنا يترتَّب على ما تقدَّم سؤال ملحّ وهو السّؤال المسكوت عنه أو الغائب الذي يستلزمه الحوار حتَّى يبدو وكأنَّه بديهي هنا، فلا بدَّ من أن يكون مطلوبًا عند المتلقّي؛ فهو على أُهبة الاستعداد لسماع جوابه وهو على يقين من حضوره عند المتلقّي، فلابدَّ أنّ الطّرفَيْن متّفقان على صيغته، وهو: على ماذا أجمع كلُّ هؤلاء؟ ليأتي الجواب المعدُّ في ذهن المتكلّم: إنّه تعالى:

ج. ويطالبون بمثاقيل الذرِّ من الخير والشّر

ب. وأنَّهم سيناقشون يوم الميعاد

أ. لجميع عباده بالمرصاد

فقد اعتمد السّلّمُ الحجَجَ الدّينيّة؛ فالله تعالى هو الرّقيب ومن ثمّ فهو المحاسب، وبعد ذلك فهو من يطالب العباد يوم القيامة بسجلّات الخير والشّرّ، ويترتّب على ما تقدَّم كلّه أنَّ المتلقّي سيكون متلهّفًا ومستعدًّا جدًّا

لسماع الوسيلة التّي تخلّصه من ذلك كلّه، فما النّتيجة المطلوبة التّي تحقّق الخلاص؟ إنّها:

ن = محاسبة النّفس كلَّ يوم وليلة.

ومحاسبة النّفس بوصفها الغايّة المطلوبة أمر ليس عسيرًا على المتلقّي، وهذا شرط من شروط قبول الحجج ونجاح المحاجِج في إيصالها، فلا بدَّ أن تكون الحجج ممَّا يُستطاع تنفيذها وكأنَّ المتكلّم يقدّم كلامه بالأمر الخطير المُفزع الذي يتمثَّل بوقوف العبد بين يدي الرّبّ ثمَّ ينتهي بعد ذلك إلى أنَّ محاسبة النّفس كلَّ يوم وليلة وهو أمر هيِّن كفيل بأنَّ يهوّن عليه ذلك الموقف، لذلك يؤكّد الكفعميّ أهميَّة محاسبة النّفس كلّ لحظة وعدم إهمال ذلك، لتيقّنه من حصول يوم الحساب والجزاء، ويسوق من أجل ذلك أدلّة واضحات من الآيات القرآنيّة، نصًّا أو تلميحًا، وقد يستشهد بعدد من أحاديث النّبيّ والأئمَّة المعصومين عليهم السلام وينهي مقدّمته بمفردة (وقل لها) في توجيه للمخاطب أو المتلقّي بكيفيّة محاسبة النّفس، ومن أهمّ أدلّة الحجج الدينيَّة:

أوّلًا: تعزيز الحجج بالقرآن نصًّا أو تلميحًا

يلجأ الكفعميّ في كثير من شذراته إلى تعزيز مواعظه بالآيات القرآنيّة المناسبة وبأبيات من الشّعر العربيّ، فقد ذكر أو أشار في شذراته إلى أكثر من مائة آية، من ذلك قوله:

«يا نفسُ.... تعسًا للبخلاء بما تحوي جيوبهم ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ﴾ [التوبة: ٣٥] ألا أخبرك عنهم، ألا أقول لك من هم؟ هم: الجمّاعون الطّمّاعون ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٦ – ٧]»[1].

(١) محاسبة النّفس الكفعمي: ٨٨.

وهنا نلحظ استشهاد المؤلّف بالآيّة الخامسة والثلاثين من سورة التّوبة والآيتين السّادسة والسّابعة من سورة الماعون.

وغالبًا ما يكون الاحتجاج بالقرآن حجاجًا سببيًّا بمعنى: أفعلوا كذا بسبب كذا[١]، أو يكون بترادف الأسئلة المجازية التي غالبًا ما تفيد التوبيخ، مثل قول المؤلّف: «يا نفسُ: أتحسبين أن تتركي سدىً؟، ألم تكوني نطفة من منيّ يمنى، ثمَّ كنت علقة فخلق فسوى، أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى؟ فما لك لا تعرفين قدرك، ولا تأخذين حذرك؟ فإن كنت قد أمنت في الحشر بسؤالك، وعرفت جميع ذلك هنالك، فما بالك تسوّفين بالعمل، وقد دنا الأجل، ولعله يختطفك من غير مهل؟»[٢].

نلحظ في كلام المؤلّف تناصّا قرآنيًّا أفاد المعنى المراد تبليغه إفادة حجاجية كبيرة، فقد أشار المؤلّف دون أن يصرّح إلى قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ القيامة: ٣٦ – ٤٠.

وقد يرد الاستشهاد بالقرآن لغرض تأكيد لفظة معيّنة، كما في قوله: «يا نفسُ: احذري: ﴿يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾، ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا * وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾، ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾، ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا﴾»[٣] وهنا نلحظ استشهاد المؤلّف بالآيات القرآنيّة من سورة الإنسان: الآيّة ١٠ والطّور: الآيتين ٩ و١٠ والحديد: الآيّة ١٣ والفرقان: الآيّة

(١) ينظر: الحِجاج مفهومه ومجالاته: ٤١.
(٢) محاسبة النّفس الكفعمي: ٤٢.
(٣) المصدر نفسه: ١١٨

٢٢. وقد وردت فيها كلّها لفظة (يوم) لما تحمله هذه المفردة من دلالات حجاجيّة عميقة؛ فهي تذكّر بيوم الموت ويوم الحساب ويوم القيامة.

ولا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ اهتمام الدّارسين العرب القدامى والمحدثين بما فيهم المفسرون لم يرتقِ إلى حجم الاحتجاجات الواردة في القرآن الكريم على الرّغم من المكتبة التّفسيريّة الهائلة التّي تركوها[١].

ثانيا: التّعزيز بأحاديث النّبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام

كقوله «يا نفسُ: من كلام سيّد الوصيّين أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) لرجل سأله الموعظة، ومن رقدة الغفلة أن يوقظه: لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل، ويرجو التّوبة بطول الأمل، يقول في الدّنيا بقول الزّاهدين، ويعمل فيها بعمل الرّاغبين، إذا أُعطي منها لم يشبع، وإن مُنع منها لم يقنع، يعجز عن شكر ما أُوتي، ويبتغي منها الزّيادة فيما بقي، ينهى ولا ينتهي، ويأمر بما لا يأتي، إن أصابه بلاء دعا مضطرًّا، وإن ناله رخاء أعرض مغترًّا، يقصّر إذا عمل، ويبالغ إذا سُئل، يصف العِبْرة ولا يعتبر، ويبالغ في الموعظة ولا يزدجر، فهو بالقول مدلّ، ومن العمل مقلّ، يناقش فيما يفنى، ويسامح فيما يبقى، يرى المغنم مغرمًا، والمغرم مغنمًا، يخشى الموت، ولا يبادر الفوت، يستعظم عن معصية غيره ما يستقلّه من معاصي هواه، ويستكثر من طاعته ما يستحقره من طاعة سواه، فهو على النّاس طاعن، ولنفسه مداهن، يهوى دارًا أوّلها عناء، وآخرها فناء، في حلالها حساب، وفي حرامها عقاب، من استغنى فيها افتتن، ومن افتقر فيها حزن، من سعى إليها فاتته، ومن قعد عنها أتته، من أبصر بها بصرته، ومن أبصر إليها أعمته»[٢].

---

(١) ينظر: الحِجاج في القرآن الكريم من خلال أهم الخصائص الأسلوبيّة: ٢/ ٧٠١.

(٢) محاسبة النّفس الكفعمي: ٦٣.

في هذه الموعظة التي حرصنا على ذكرها كلّها على الرّغم من طولها نجد أنّ المحاجج عمد إلى كلام مشهور مؤثّر للإمام عليّ (عليه السّلام) ليكون حجَّة لا تردّ، وسببًا قويًّا للاتعاظ والاعتبار.

ثالثًا: توظيف المفاهيم الدّينيّة

«يا نفسُ: ويحك بل ويلك من العذاب، كأنَّك لا تؤمنين بيوم الحساب، أتظنين أنَّك إذا متِّ انفلتِ، وإذا حشرت رددتِ؟! هيهات هيهات، كلّ ما توعدين لآت»[1].

يحذِّر المؤلّف في هذه الشّذرة من العذاب بوصفه نتيجة محتّمة الوقوع؛ لكنّه يرتِّب حتميّة حصولها بما يأتي: عدم الإيمان بيوم الحساب، وعدم الانفلات من ذلك اليوم، وعدم الرّدة من يوم الحشر، ويمكن ترتيب ذلك على وفق السّلّم الآتي:

ن. النّتيجة = حقيقة العقوبة والعذاب الأخرويّ

ج. حصول الحشر/ الرّدّة من الحشر

ب. عدم الانفلات منه/ ظنّ الانفلات

أ. حصول الحساب/ عدم الإيمان بذلك

ومن أجل تعزيز الحجَّة وتقويتها يشير المؤلّف في كلامه إلى الآيّة القرآنيّة ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٤]، كذلك يعزّز حجّته ببيتَينِ من الشّعر:

ولو أنّا إذا متنا تُركنا ... لكان الموتُ راحةَ كلِّ حيٍّ
ولكنّا إذا مُتنا بُعثنا ... ونُسألُ بعدهُ عن كلِّ شئ

(١) محاسبة النّفس الكفعمي: ٣٨.

وكثيـرًا ما تـرد المفاهيم الأساسـيَّة فـي المدوَّنة الإسـلاميّة في نصوص المواعظ، مثل: الحسـنة والسّـيئة والصّالح والطّالح والثّواب والعقاب، كما في قـول الكفعميّ: «يـا نفسُ: إنَّك تقدميـن على ما قدمْـت، وتجازَيْن على ما أسـلفت، فلا تخدعنَّك دنيا دنيّة، عن مراتب جنات عليّة، فإنَّ لكلِّ حسـنة ثوابًا، ولكلِّ سيئة عقابًا، وإنَّه لا بدَّ لك في قبرك من قرين، فإن كان صالحًا فبه تستأنسين، وإن كان طالحًا فمنه تستوحشين»[١].

نلحـظ أنَّ المؤلّف احتجَّ بأنَّ للحسـنة ثوابها وللسـيّئة عقابها، وأنّ الأُنس يحصل مع القرين الصَّالح، وأنَّ الاستيحاش يحصل مع القرين الطّالح.

• **سلّم الحجج العقليّة**

يرتبـط الحِجـاج بمفاهيم كثيـرة يمثّل عدد منهـا أركانًا أساسـيّة في النّقد الحِجاجي مثل: المقام، والسّـياق، ومقتضى الحـال، والإقناع[٢]، ولا يمكن بحـال من الأحوال وصف معنى القول في اسـتقلال تامّ عن المقام والوظيفة القوليّة[٣].

وللحجـاج آليّـات يسـتطيع المحاجج عـن طريقها الوصـول إلى غرضه المنشـود، وترتبط هذه الآليّات بعوامل لغويّة غالبًا ما تكون على شكل ألفاظ محدَّدة مثل: (ربّما، تقريبًـا، قليلًا، نوعًا... ما إلخ) مثلما ترتبط أيضًا بأدوات أُخر تُسمَّى الرّوابط تتمثّل في: (حروف العطف، الظروف)[٤].

اللافت في كتاب (محاسبة النّفس) أنَّ المؤلّف بعد أن ذكر في مقدّمة كتابه

(١) محاسبة النّفس الكفعمي: ٤١
(٢) ينظر: الحِجاج في الشّعر العربي، بنيته وأساليبه: ٢٢.
(٣) ينظر: البلاغة والاتصال: ١٠٧.
(٤) ينظر: الحِجاج في اللغة: ٦٣.

مشروعيّة موضوعه بالبدء بحجّة دينيّة دون أن يدخلها في سلسلة شذراته كما ذكرناها في المبحث الأوّل عمد إلى أن تكون الشّذرة الأوّلى من الكتاب المذكور حجّة عقليّة على الآخر، وفي ذلك التّفاتة ذكيّة تدلّ على أنَّ المؤلّف يريد أن يقول: أن لا تناقض بين الدّين والعقل، فالدّين يعتمد البراهين العقليّة التّي لا يمكن إنكارها، يقول الكفعميّ:

«يا نفسُ: احزمي أمرك، فما لك بضاعةٌ إلَّا عمرُك؛ فلا تفنيه في مآربك، ولذّاتك ومطالبكِ؛ لأنّه إذا فُني رأس المال حصلت الخسارة، ووقع اليأس عن التّجارة»[1].

نجد في هذه الموعظة أنَّ المؤلّف يعتمد حججًا عقليّة خالصّة تتمثل بـ: بقصر العمر وفنائه، وكثرة اللّذات والمطالب الدّنيويّة، وحصول اليأس عند ذهاب العمر، وفوات الأمر، لذلك لا بدَّ من حزم الأمر وعدم الانقياد وراء الملذّات الزّائلة، ويمكن ترتيب تلك الحجج من الأعمِّ إلى الأخصِّ أو من الأضعف إلى الأقوى على وفق السّلّم الحِجاجيّ الآتي:

النّتيجة ن = ضرورة حزم الأمر

د = فوات الأمر

ج= حصول اليأس وصعوبة معالجة الأخطاء

ب= كثرة اللّذات والمطالب الدّنيويّة

أ= قصر العمر وفنائه

نرى هنا أنَّ الحِجاج اقترن بالاستدلال والبرهنة المقصودة، وهو أمر اتَّفق عليه أغلب النّقاد، فالمقصديّة ركنٌ مهمّ في الحِجاج؛ لأنَّ الخطاب العاديّ

(١) محاسبة النّفس الكفعمي: ٣٥.

لا برهنة فيه[1] على الرّغم من وجود من يضع بينهما تفرقة وتمايز؛ بحجَّة أنَّ البرهان العقليّ ينتمي إلى الاستدلال بينما ينتمي الحِجاج إلى الخطاب العادي[2]، ولابدَّ للحجج العقليَّة أن تُضمن في أساليب لغويَّة لها قوَّة التأثير التي يبتغيها المنشئ، فتارة تجيئ شعرًا وأخرى نثرًا على وفق أسلوبٍ فنّيٍّ مقصود، ومن ذلك:

أوّلًا: الاستشهاد بالشّعر العربيِّ

استشهد الكفعميّ بالشّعر أكثر من سبعين مرَّة في كتابه (محاسبة النّفس)، ومن ذلك قوله:

«يا نفسُ: ما هذه الحيرة والسّبيل واضح، وما هذه الغفلة والمشير ناصح، إلى كم تجمعين ولا تقنعين، ولوارثك تودعين؟!

وأنت كمن يبني بناءً وغيره يعالجه في هدمه ويسابقُ

وينسج آمالًا طوالًا بعيدة ويعلم أنَّ الدّهر للنسج خارقُ»[3]

نلحظ أنَّ البيتَيْن أكملا الحجَّة التي ذكرها المؤلِّف بل زيدت بهما عمقًا وتأثيرًا عن طريق الأثر لحرف الرَّوي (القاف) لما يتضمنه من قوَّة وموسيقى.

ثانيًا: الإكثار من السّجع والعبارات المقفّاة كقول المؤلّف: «يا نفسُ: حُبُّ الرّئاسة رأس المحن، وحُبُّ المال سبب الفتن، وحُبُّ الدّنيا يوهن الدِّين، ويفسد اليقين، وحقّ يضرُّ خير من باطل يسرُّ، وخير الأعمال ما قضى اللوازم واكتسب شكرًا، وخير الأموال ما أعان على المكاره واسترقّ حرًّا،

(١) ينظر: الحِجاج مفهومه ومجالاته: ٥٧.
(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١٨٠.
(٣) محاسبة النّفس الكفعمي: ٣٩.

وخير النّاس من إذا أُعطيَ شكر، وإذا ابتُليَ صبر، وإذا ظُلِم غفر، وإذا أحسن استبشر، وإذا أساء استغفر»[١].

قد تكون العبارات المسجوعة ذات تأثير على المتلقّي؛ فتعمل فيه استجابة وتغييرًا كما في النصِّ المذكور الذي كانت عباراته حجاجيّة قويّة الوقع.

ثالثًا: التّمثيل

ونقصد بالتّمثيل ضرب الأمثال المتداولة أو المولّدة، وكان لذلك حضور كبير في كتاب (محاسبة النَّفس)، كما في قول المؤلّف: «يا نفسُ.... ما أخالك إلّا كزنجي زنى وسرق، وعصى وأبق، فيرد إلى سيده مكتوفًا، ومثَّل بين يديه موقوفًا، يهوى الخلاص وأنّى له الخلاص، ويرجو النّجاة (ولات حين مناص)، فهو كمريض لا يرجى برؤه، أو محيض لا يرقى قرؤه، أو غريق نبذه الملاح، فأخذه التّمساح، أو هائم خلفه الخريت، واستهوته العفاريت»[٢].

نلحظ هنا أنَّ التمثيل حقَّق فائدة المغايرة بين واقعيْن؛ واقع قريب وآخر بعيد يُضرب به المثل، ممّا جعله موردًا صالحًا للحِجاج، فالباعث الأوّل للحجاج هو الاختلاف، فلا حجاج في أمر يعدّ على أنّه حقيقة مثل مسائل الرّياضيات، إنّما الحِجاج فيما هو مرجَّح وممكن ومحتمل[٣].

وقد يكون التّمثيل بحكاية يصنعها المؤلّف ويسوقها لغرض تقوية الحجّة، كما في قوله: «يا نفسُ: أترين لو أنَّ أحدًا من جلسائك، أو عبيدك وإمائك، واجهك بما تمقتينه، أو عاملك بما تكرهينه، لقلَّمت منه الأظفار، وأحللت

(١) محاسبة النّفس الكفعمي: ٦٥.
(٢) المصدر نفسه: ٩٠.
(٣) ينظر: البلاغة والاتصال: ١٠٧.

به دار البوار، فبأيِّ جسارة تتعرضين لمقت الله وعذابه، وشدّة نكاله وعقابه؟ وقرِّبي إصبعك من الحميم، إن ألفاك البطر عن النّظر في عقابه الأليم»[1].

نجد المؤلّف هنا لغرض تقريب الصّورة يستعمل التّمثيل بإساءة أحد المقرَّبين للمخاطب وما سوف يُعاقب به ويقارن المؤلّف ببعد الشّبه بين ذلك التّمثيل وبين إساءة النّفس لربِّها؛ إذ لا وجود للشبه بينهما!!! لكنّه يرتب درجات المقرّبين كما يأتي:

ج. الإماء

ب. العبيد

أ. الجلساء

أمَّا ترتيب الإساءة المفترضة من هؤلاء فكان كما يأتي:

ب. الكُره

أ. المقت

أما ترتيب العقوبة المفترضة التّي سيواجه بها هؤلاء فكان الآتي:

ب. إحلاله دار البوار

أ. تقليم الأظفار

لكن أين ذلك كلّه من الذنوب التّي تستوجب العقوبات الإلهيّة المرتّبة بحسب درجات السّلّم الآتي:

د. العقاب

(١) محاسبة النّفس الكفعمي: ٣٨.

ج. شدة النّكال

ب. عذاب الله

أ. مقت الله

وقد ترد الحكاية لغرض تبكيت الطَّرف الآخر وإسقاط الحجّة بين يديه كما في قول: «يا نفسُ: أترين من استُؤجِر على إصلاح آنيّة من الدّر، وشرط له على ذلك شيئًا من الأجر، وكان الشّارط إذا وعد وفى، وإذا توعد عفى، فجاء الأجير إلى الآنيّة وكسرها بعهده، وأفسد مصالحها بجهده، ثمَّ جلس على الباب، ينتظر الأجر والثَّواب، بزعم أنَّ المستأجر كريم وهَّاب، أفتراه العقلاء في انتظاره متمنِّيًا مغرورًا، أم راجيًا مأجورا؟ هيهات ﴿أَنَّه وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: ٣٩]، وما أجهل من يتوقّع المغفرة مع الإصرار، وما أسفه من يتمنّى العفو مع ملازمة الأوزار.»[(١)].

ففي الحكاية التي ساقها المؤلّف نجد مضمونًا يشي بفائدة التبكيت وإسكات الخصم؛ لما في ذلك من فسح المجال لإلقاء الحجّة المطلوبة على المتلقِّي بعد أن يكون مهيّئًا.

(١) محاسبة النّفس الكفعمي: ١٥٨.

الخاتمة

كانت الصّفحات المتقدِّمة جولة بحثيَّة في كتاب (محاسبة النفس) لمؤلّفه الكفعمي، وقد ارتأينا أن يكون هذا الكتاب مادّة لبحثنا هذا بوصفه كتابًا وعظيًّا خالصًا وليكون مجالًا إجرائيًّا لتطبيق آليّات التّحليل الحِجاجي عن طريق توظيف آليّات الحجاج عليه، وقد أفادنا ذلك أنّنا وقفنا على أهميّة تطبيق الآليات الحجاجيَّة، ولا سيَّما السّلّم الحجاجيّ لدراسة مثل هذه النّصوص.

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّنا وجدنا الكفعمي في كتاب (محاسبة النّفس) موضوع هذه الدّراسة يوظّف التّداوليّة أو الحِجاج بحسب الموقف الذي يمليه السّياق ففي موضع ما قد يبرِّز السّلّم الحِجاجي، وفي موضع غيره نجد آليّات تداوليّة غير السّلّم الحِجاجيّ لكنه كان للسّلم الحجاجيّ أميَل.

ومصطلح (السّلّم الحِجاجيّ) يدلّ على ما يدلُّ عليه السّلّم العاديّ على دلالة التّرتيب، وبإزاحته إلى الدّرس اللغويّ فهو يدلّ على معنى التّرتيب المتدرّج للحجج الكلاميّة، فالحجج تُرتّب فيه منطقيًّا من الأسفل إلى الأعلى، أي من الحجّة الأضعف إلى الحجّة الأقوى وصولًا إلى النّتيجة، وقد توصَّل الباحث إلى أنَّ للسلّم الحِجاجيّ عامَّة وفي كتاب (محاسبة النّفس) خاصَّة قوانين ثلاثة تتعلّق كلّها بترتيب الحجج، فالقانون الأوّل قانون الخفض، والثَّاني قانون النّفي، أما الثَّالث فقانون القلب.

المصادر و المراجع

أوّلًا: القرآن الكريم

ثانيًا: الكتب

١. أسس الفلسفة، د.توفيق الطَّويل، مكتبة النّهضة المصريّة، القاهرة، ط٣، ١٩٥٨.

٢. أعيان الشّيعة، محسن الأمين، تحقيق حسن الأمين، دار التّعارف للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٩٨٣.

٣. أمل الآمل، الحرّ العامليّ، محمّد بن الحسن (ت١١٠٤هـ) تحقيق أحمد الحسينيّ، مكتبة الأندلس، بغداد، د ت.

٤. أهم نظريّات الحِجاج في التّقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم، حمادي صمّود، دط، دت.

٥. البلاغة والاتّصال، جميل عبد المجيد، دار غريب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠.

٦. التّحليل اللغويّ عند مدرسة أكسفورد، صلاح إسماعيل، دار التّنوير للطباعة، بيروت، ط١، ١٩٩٣.

٧. التّداوليّة أصولها واتجاهاتها، جواد ختام، دار الكنوز للنشر والتّوزيع، عمان، الأردن، ط١، ٢٠١٦.

٨. التّداوليّة بين النّظريّة والتّطبيق، د. أحمد كنون، دار النّابغة للنشر والتّوزيع، الإسكندريّة، مصر، ط١، ٢٠١٥.

٩. الحِجاج في الشّعر العربي، بنيته وأساليبه، ساميّة الدّريدي، جدار للكتاب العالمي، عمان، الأردن، ط١.

١٠. الحِجاج في القرآن الكريم من خلال أهمّ الخصائص الأسلوبيّة، عبد الله صولة، دار الفارابيّ، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧.

١١. الحِجاج في اللغة، أبو بكر العزاويّ، دار العمدة، بيروت، ط١، ٢٠٠٦.

١٢. الحِجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظريّة وتطبيقيّة في البلاغة، إشراف د حافظ إسماعيلي علويّ، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط١، ٢٠١٠.

١٣. الخطاب والحِجاج، أبو بكر العزاويّ، مؤسسة الرّحاب الحديثة للطّباعة، بيروت، ط١، ٢٠١٠.

١٤. دراسات في نحو اللغة العربيّة الوظيفيّ، أحمد المتوكّل، منشورات عكاظ، الرّباط، د ط، ١٩٨٧.

١٥. الذّريعة إلى تصانيف الشّيعة، أغا بزرك الطّهرانيّ، تحقيق أحمد المنزويّ، ط١، النَّجف، العراق، ١٩٧٠.

١٦. سُنن التّرمذيّ، المسمّى بالجامع المختصر من السّنن عن رسول الله صلى الله عليه وآله ومعرفة الصّحيح والمعلول وما عليه العمل، محمّد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضَّحاك، السّلّميّ التّرمذيّ (ت٢٧٩هـ)، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، د ت.

١٧. الطّليعة من شعراء الشّيعة، محمّد السّماويّ، تحقيق كامل سلمان الجبوريّ، دار المؤرخ العربيّ، بيروت، ط١، ٢٠٠١.

١٨. الكافي، أبو جعفر محمّد بن يعقوب بن إسحاق الكلينيّ الرّازيّ (ت ٣٢٩ هـ)، دار الأسوة للطّباعة والنّشر، طهران، ط٨، ١٤٣٤ هـ.

١٩. كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطينيّ المشهور باسم حاجي خليفة (ت١٠٦٩هـ) مكتبة المثنّى، بغداد، ط١، ١٩٤١ م.

٢٠. لسان العرب، العلّامة أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم بن منظور (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، طبعة جديدة ومحققة، دت.

٢١. اللسان والميزان أو التّكوثر العقليّ، طه عبد الرّحمن، المركز الثّقافيّ العربيّ للطباعة والنّشر، بيروت، ط١، ١٩٩٨.

٢٢. اللغة والحِجاج، د.أبو بكر العزاويّ، دار العمدة في الطّبع، الدّار البيضاء، المملكة المغربيّة، ط١، ٢٠٠٦.

٢٣. محاسبة النّفس، أبو بكر عبد الله بن محمّد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغداديّ الأمويّ القرشيّ المعروف بابن أبي الدّنيا (ت ٢٨١هـ)، تحقيق، المستعصم بالله أبي هريرة مصطفى بن عليّ بن عوض، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٩٨٦.

٢٤. محاسبة النّفس، رضي الدّين عليّ بن موسى بن جعفر بن طاووس العلويّ، (ت ٦٦٤ هـ)، دار المحجّة البيضاء، بيروت ط١، ٢٠٢١.

٢٥. محاسبة النّفس اللوّامة وتنبيه الرّوح اللوّامة، تقي الدّين ابراهيم بن علي الكفعميّ، تحقيق فارس الحسّون، مؤسّسة الفكر الإسلاميّ للثّقافة والاعلام، بيروت لبنان، ط١، ١٩٩١.

٢٦. المنطق، الشيخ محمد رضا المظفَّر، دار التعارف للمطبوعات، ط٣، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦

٢٧. ميزان الحكمة، محمَّد الرّيشهري، دار الحديث، قم، إيران، ط١، ١٤٢٢هـ.

ثالثًا: الأطاريح

المقصديّة في الخطاب الشّعريّ لعبد الله البردونيّ دراسة تداوليّة أطروحة مقدّمة لنيل درجة دكتوراه علوم في علوم اللسان العربيّ، اعداد ريمة يحيى، كليّة اللغة والأدب العربيّ والفنون، قسم اللغة العربيّة، جامعة باتنة الجزائر.